جامعة الأزهر

Al-Azhar University

الفكر الموسوعي عند سيبويه وأثره في نشأة العلوم

إعداد

د/ أسماء عطيَّة حامد أحمد

مدرس اللغويات بكليَّة الدِّراسات الإسلاميَّة والعربيَّة للبنات،

بسوهاج، جامعة الأزهر الشريف، جمهورية مصر العربيَّة

العام الجامعي: ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

" كَانَ سِيبَوَيْهِ شابًّا حسنًا جميلًا نظيفًا، وقد تعلق من كل علم بسبب، وضرب مع كل أهل أدب بسهم، مع حداثة سنه". ابن كثير(١).

"تعلق من كل علم بسبب، وضرب في كل أدب بسهم، مع حداثة سنِّه وبراعته في النحو" ابن عائشة(٢).

"وَقد نظرتُ فِي كِتَابه فرأيتُ فِيهِ علمًا جمًّا" الأزهري(٣).

" سيبويه الذي ليس في العالم مثل كتابه، وفيه حكمة لسان العرب،... كتاب سيبويه في العربية لم يُصنَّف بعده مثله" ابن تيمية(٤).

---

(١) البداية والنهاية ١٠/١٧٦.

(٢) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص٦٧.

(٣) تهذيب اللغة ١/١٧.

(٤) مجموع الفتاوى لأحمد بن تيمية، تح/ أنور الباز ١١/٣٧٠، ١٦/ ١٥.

التكامل المعرفي عند سيبويه، وأثره في نشأة العلوم

أسماء عطيَّة حامد أحمد
قسم اللغويات، كليَّة الدِّراسات الإسلاميَّة والعربيَّة للبنات، بسوهاج، جامعة الأزهر الشريف، جمهورية مصر العربيَّة
البريد الالكتروني: asmaahamed.279@azhar.edu.eg

ملخص البحث: التكامل المعرفيَّ بين علوم العربية وعلوم الشريعة ضارب بجذوره في أعماق التاريخ، فقد حفل تاريخنا الإسلامي بشخصيات علميَّة، أفاض الله عليهم من أنوار علمه، فكانوا في سماء العلم نجومًا، بأنوار علومهم يُهْتَدى وبحسن سيرتهم يُقتدى، وممن امتنَّ الله عليهم بمفاتيح العلوم إمام العربية سيبويه قال فيه الأزهري: "وَقد نظرتُ فِي كِتَابه فرأيتُ فِيهِ علما جمًّا". وَقَالَ غيره: "قَدْ تَعلَّقَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بِسَبَبٍ، وَضَرَبَ بِسَهْمٍ فِي كُلِّ أَدَبٍ مَعَ حَدَاثَةِ سِنِّهِ"، لقد افتضَّ سيبويه بكارةَ كثيرٍ من العلوم، فكانت مباحثُه في الكتاب حجرَ الأساس الذي عليه بُنِيَت، ونواتَها التي منها اشتُقَّت، من علوم العربيَّة، كالبلاغة وأصول اللغة وعلم الدلالة واللهجات والأصوات والعروض والقوافي، كما أنَّه اشتمل على مباحث على قدر من الأهمية من علوم القرآن الكريم مثل: علم التجويد وأحكام القرآن وعلم الوقف والابتداء وغيرهما، بالإضافة إلى معرفته بالقراءات القرآنية ومكانتها، ودرايته ببعض الأحاديث النبويَّة ودرجة صحتها، هذا مع شهرته في النحو والتصريف اللذين صار لهما علَمًا، ويهدُف البحث إلى إظهار هذا التنوع المعرفيِّ عند سيبويه، وأثره في نشأة علوم العربيَّة وعلوم القرآن الكريم.

وقد خلص البحث إلى بعض النتائج، منها: ١- تمكن إمام النحاة (سيبويه) تحقيق التكامل المعرفي فكان كتابه موسوعة علمية شاملة، ضمت مباحث لكثير من علوم اللغة العربية وعلوم القرآن الكريم، ٢- والرد من

خلال تأثر البلاغيين بالكتاب على من زعم أن علماء النحو لا فتيا لهم في مواطن البلاغة، ٣- كذلك تفنيد شُبهات من ادعى أنَّ سيبويه لم يكن على علم بالحديث النبوي وأنه تنكب الاستشهاد به في كتابه، حيث أثبت البحث أن سيبويه قد كان على علم بالحديث النبوي، مستشهدا به في مواضع عديدة من كتابه، لكنه لم يصرح بنسبتها لأسبابٍ ذُكِرَت في ثنايا البحث. ولا يكاد يخلو كتاب من كتب التفسير وإعراب القرآن الكريم من الاستشهاد بكلام سيبويه، ٤- يُعَدُّ كتاب سيبويه يعد نموذجا طيبا لكثير من مصنفات النحويين الأوائل التي تميزت بالتكامل المعرفي؛ فضمت بين دفتيها صنوفًا من علوم العربية وعلوم الشريعة في تناغم بديع وتناسق فريد.

الكلمات المفتاحية: سيبويه، الكتاب، علوم العربية، علوم القرآن الكريم، الحديث الشريف.

The Intellectual Integration in Sibuwaih's Work and Its Impact on the Emergence of Sciences

Asmaa Attiya Hamed Ahmed
Department of Linguistics, College of Islamic and Arabic Studies for Girls, Sohag, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: asmaahamed.279@azhar.edu.eg

Abstract:The intellectual integration between Arabic sciences and the sciences of Islamic jurisprudence has deep historical roots. Islamic history is replete with scholars who were blessed with divine knowledge, becoming stars in the sky of science. Among those graced with the keys to knowledge was the Imam of Arabic grammar, Sibuwaih. Al-Azhari said of him, "I have looked into his book and found in it a vast amount of knowledge." Others have said, "He has grasped every science by its cause, and has shot an arrow into every field of knowledge, despite his young age."

Sibuwaih was the pioneer of many sciences. His discussions in his book formed the foundation and nucleus from which many Arabic sciences were derived, such as rhetoric, etymology, semantics, dialects, phonetics, prosody, and rhyme. Additionally, his work included

discussions of significant importance in the sciences of the Quran, such as recitation, Quranic rulings, and the science of pausing and resuming recitation. He was also knowledgeable about Quranic readings and their significance, and he was familiar with certain prophetic hadiths and their levels of authenticity. Despite this, he is most famous for his grammar and morphology.

This research aims to demonstrate this intellectual diversity in Sibuwaih's work and its impact on the emergence of Arabic and Quranic sciences. The research concludes that: 1) The Imam of grammarians (Sibuwaih) achieved intellectual integration, and his book was a comprehensive scientific encyclopedia that included discussions of many Arabic and Quranic sciences. 2) The research refutes the claim that grammarians have no authority in matters of rhetoric, as evidenced by the influence of Sibuwaih's book on rhetoricians. 3) The research also refutes the claim that Sibuwaih was unaware of prophetic hadiths and avoided citing them in his book. It proves that Sibuwaih was knowledgeable about hadiths and cited them in many places in his book, but he did not explicitly attribute them for reasons mentioned in the research. Hardly any book on Quranic exegesis and

grammar lacks citations from Sibuwaih. 4) Sibuwaih's book serves as a good model for many early grammatical works that were characterized by intellectual integration, as they combined various Arabic and Islamic sciences in a beautiful harmony and unique coherence.

Keywords: Sibuwaih, Al Kitab, Arabic sciences, Quranic sciences, Prophetic hadiths.

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعدَّله، وألهمه نور الإيمان فزيَّنه به وجمَّله، وعلَّمه البيان فقدَّمه به وفضَّله، وأفاض على قلبه خزائنَ العلوم فأكمله، والصلاةُ والسلام على أعلمِ البشر، سيِّدِنا محمد وعلى آله وصحابته سادة الحق وأئمته. وبعد،،

فقد حفل تاريخنا الإسلامي بشخصيات علميَّة، أفاض الله عليهم من أنوار علمه، فكانوا في سماء العلم نجومًا وأقمارًا، بأنوار علومهم يُهْتَدى وبحسن سيرتهم يُقتدى، ومع ذلك فقد زهدوا في زخرف الدنيا ومتاعها، ولله درُّ القائل: "يكون الرجل نحويًّا عروضيًّا، وقسامًا فرضيًّا، وحسن الكتاب جيد الحساب، حافظًا للقرآن، راوية للشعر، وهو يرضى أن يعلم أبناءنا بستين درهمًا"(١).

وممن امتنَّ الله عليهم بمفاتيح العلوم إمام العربية سيبويه، الذي افتضَّ بكارةَ كثيرٍ من العلوم، فكانت مباحثُه في كتابه الفريد والرائد في فنِّه حجرَ الأساس الذي عليه بُنِيَت، ونواتَها التي منها اشتُقَّت، فصدق فيه قول القائل:

لَئِنْ رَفَــعَ الغَنِــيُّ لِــوَاءَ مَــالٍ ∴ فَأَنْــتَ لِــوَاءَ عِلْمِــكَ قَــدْ رَفَعْتَــا

وَمَهْمَا افْــتَضَّ أَبْكَــارَ الْغَــوَانِي ∴ فَكَمْ بِكْرٍ مِنَ الحِكَــمِ افْتَضَضْــتَا(٢).

لقد صارت مباحث الكتاب –فيما بعد– نواة لكثير من علوم العربيَّة، كالبلاغة وأصول اللغة وعلم الدلالة واللهجات والأصوات والعروض والقوافي، كما أودعه مصنِّفُه مباحث على قدر من الأهمية من علوم القرآن

---

(١) البيان والتبيين ٣١٧/١.

(٢) البيتان من (الوافر)، لأبي إسحاق بن مسعود الإلبيري، في ديوانه ص٢٥. من قصيدة طويلة يحض فيها ولده على طلب العلم، وقد استعرتهما هنا لسيبويه على سبيل الإسقاط.

الكريم مثل: علم التجويد وأحكام القرآن وعلم الوقف والابتداء وغيرهما، بالإضافة إلى معرفته بالقراءات القرآنية ومكانتها، ودرايته ببعض الأحاديث النبويَّة ودرجة صحتها، هذا مع شهرته في النحو والتصريف اللذين صار لهما علَمًا، ويهدُف البحث إلى إظهار هذا التنوع المعرفيِّ عند سيبويه، وأثره في نشأة بعض علوم العربيَّة وعلوم القرآن الكريم.

مشكلات البحث:

تكمن أهمية كل بحثٍ في الإشكالية التي يتناولها ويحاول جاهدًا الكشف عنها، وكان هذا البحث محاطًا بعدة أسئلة يهدف إلى الإجابة عنها، وأهمها:

١- ما مفهوم "الفكر الموسوعي"، وهل حقق سيبويه هذا المعنى من خلال كتابه؟

٢- ما مظاهر اشتمال الكتاب على مباحث علوم اللغة على تنوعها؟

٣- كيف كان كتاب سيبويه أساسًا لعلوم القرآن الكريم، مع كونه في الأصل كتاب لغة؟

٤- هل – حقًا – عزف سيبويه عن الاستشهاد بالحديث النبويِّ، وما أسباب عدم نسبته ما جاء منه في كتابه؟

منهجيَّة الدراسة:

تمثلت السمة المنهجية لهذا البحث في الاعتماد على "المنهج الوصفي التحليلي" الذي يقوم على انتقاء نصوص من كتاب سيبويه ووصفها ثمَّ تحليلها؛ لاستنباط مدى تأثر العلوم بها، حيث تعدُّ نصوصُ سيبويه الباعث على نشأتها، وحجرَ الزاوية في تأسيسها.

الدراسات السابقة:

كتب الله لكتاب سيبويه القبول، فكان موضع اهتمام الباحثين والدارسين، وقامت حوله كثير من الدراسات والبحوث بما يربو على مائة وخمسين بحثًا

ورسالة علميَّة، ومن البحوث التي رجعت إليها في بحثي:

- أسئلة سيبويه للخليل عن القراءات –جمع ودراسة–، بحث بكلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا، إعداد د. محمود مصطفى عمر عفش، ١٤٤٥ه.
- المستوى الدلالي في كتاب سيبويه، د. مي فاضل جاسم الجبوري، أستاذ مشارك– قسم اللغة والنحو والصرف، كلية اللغة العربية– جامعة أم القرى، ٢٠١٩م.
- اللهجات في الكتاب لسيبويه –أصواتًا وبنية–، لـــ/ صالحة راشد غنيم، جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ه.
- كتاب سيبويه (الكتاب): منهجه وأهم آراء العلماء فيه، للباحث/ أحمد يوسف أحمد ضميري، مجلة شمال إفريقيا للنشر العلمي، مارس ٢٠٢٤م.
- سيبويه والاحتجاج بالحديث الشريف، أ د. سعدون أحمد علي الربعي، بحث بمجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٧م.

وقد خلص هذا البحث إلى عزوف سيبويه عن الاستشهاد بالحديث الشريف، وعزوفه عن التصريح بنسبة العدد القليل الذي احتج به منه، وعزى ذلك إلى مغادرته حلقة شيخه حماد بن سلمة، ما ترتب عليه عدم اطمئنانه اتصال لفظه بالنبي – صلى الله عليه وسلم–، وأن ثمة جملة أمور جعلته يشعر بالنقص، ليكون سيبويه بهذا أول من جرأ النحويين على العزوف عن الاستشهاد بالحديث الشريف والتصريح بنسبته للنبي–ﷺ–. وقد ختمت البحث بتتمة رأيتها من الأهمية بمكان للرد على هذه الأمور التي تمَّ ادِّعاؤها على شيخ النحويين وإمام صنعتهم، وما توفيقي إلا بالله.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع أن يكون في فصلين، يضمُّ كلٌّ منهما عدة مباحث، يسبقهما مقدمة وتمهيد، وتقفوهما خاتمة وبعض الفهارس، وذلك على النحو الآتي:

المقدِّمة: وتضمنت الحديث عن موضوع البحث، وأهميته، وما تناوله من إشكاليات تولى الإجابة عنها، ونبذة مختصرة عن الخطة.

التمهيد: وتحدثت فيه عن مفهوم (الفكر الموسوعي) مع نبذة مختصرة عن سيبويه وكتابه.

الفصل الأول: معرفة سيبويه بعلوم العربية وأثره في نشأتها، ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول– سيبويه رائدُ التصنيفِ في علميِ (النحو والتصريف).

المبحث الثاني– أثرُ فكر سيبويه في نشأة علوم البلاغة.

المبحث الثالث– إرهاصاتُ علمِ الدلالة بمفهومه الحديث في كتاب سيبويه.

المبحث الرابع– أثر فكر سيبويه في دراسة اللهجات والأصوات

المبحث الخامس– معرفةُ سيبويه بعلمي العروضِ والقوافي.

الفصل الثاني– معرفةُ سيبويه بعلوم القرآن الكريم وأثره في نشأتها، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول– التوجيهُ اللغويُّ للقراءات القرآنية في كتاب سيبويه.

المبحث الثاني– مباحثُ أحكام التجويدِ عند سيبويه، وأثرُه في نشأته.

المبحث الثالث– معرفةُ سيبويه بالوقف والابتداء، أنواعه وكيفيته، وفيه مطلبان:

المطلب الأول– أثرُ تغايُر الإعرابِ في حكم الوقف في القرآن الكريم.

المطلب الثاني– كيفية الوقف على أواخر الكلم.

ورأيت من تمام البحث أن أضيف تتمَّة أتناول فيها موقف سيبويه من الاستشهاد بالحديث الشريف للرد على من أنكر استشهاده به وجعله سببًا لتتكب جل النحويين عنه.

الخاتمة: تلخص أهم النتائج التي خلص إليها البحث، مع بعض التوصيات.

الفهارس الفنية: فهرس للموضوعات، مع ثبتٍ بالمصادر والمراجع.

وقد اكتفيت بعرض أمثلة من كتابه لكل علم من هذه العلوم كنموذج يتضح منه فكرة اشتمال الكتاب عليها. والله الموفق والمستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأخيرًا،، فإنِّي لا أبرئ نفسي مما قد يسهو به القلم أو يزيغ عنه الفكر، وليعذر الواقف عليه، فنتائج الأفكار على اختلاف القرائح لا تتناهى، وإنما ينفق كل أحد على قدر سعته لا يكلف الله نفسًا إلَّا ما آتاها. ورحم الله من وقف فيه على سهو أو خطأ فأصلحه عاذرًا لا عاذلًا. ورحم الله الإمام الشاطبي القائل في رائيَّته:

مَنْ عَابَ عَيْبًا لَّهُ عُذْرٌ فَلا وَزَرٌ ∴ يُنْجِيهِ مِنْ عَزَمَاتِ اللَّوْمِ مُتَّئِرَا

وإنَّما هِيَ أَعْمَالٌ بِنِيَّتِهَا ∴ خُذْ مَا صَفَا واحْتَمِلْ بالعَفْوِ ما كدَرَا[1]

أسأل ربِّي -ﷻ- أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

(١) البيتان من (البسيط)، من مقدمة رائية الشاطبي المسماة بالعقيلة.

التمهيد

مفهوم (الفكر الموسوعيُّ)، ونبذة مختصرة عن سيبويه وكتابه

أولاً- مفهوم الفكر الموسوعي:

(موسوعيٌّ) اسمٌ منسوبٌ إلى (موسوعة)، وهو لفظ مشتق من (وسِع)، والواو والسين والعين جذر لغويّ يدل على الإحاطة والشمول، قال ابن الأنباري: "الواسع: المحيط بعلم كل شيء؛ من قوله -ﷻ-: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [1]، معناه: أحاط بكل شيء علمًا"[2]. وفي لسان العرب: "الواسِعُ المُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ"[3]، وجاء في المصباح المنير: "وَوَسِعَ الْمَكَانُ، أي: اتَّسَعَ... وَيُقَالُ عَلَى الِاسْتِعَارَةِ: وَسِعَ الْمَالُ الدَّيْنَ إذَا كَثُرَ حَتَّى وَفَى بِجَمِيعِهِ"[4].

ومن ثَمَّ يكون استعمال لفظ (موسوعة) في دلالته المحدثة على الكتاب الذي يجمع معلومات في كل ميادين المعرفة، أو في ميدان منها مرتبًا ترتيبًا أبجديًّا، أو حسب المواضيع، وكل موسوعة تختلف حسب خطتها ومنهجها – كما ذكرته معاجم اللغة المعاصرة- [5]، يكون من الفصيح وإن لم تستعمله العرب قديمًا، وهذ ما أقره مجمع اللغة المصريُّ.

كما أنَّ (الموسوعي) لفظ مستحدث مشتقٌ منه، يطلق على "العالم الجليل ذي المعارف الواسعة"، يقال: "الجاحظ مؤلف موسوعي، عقله موسوعيّ"[6].

وبهذا المعنى فإن سيبويه أهلٌ لأن يلقَّب بـــ (العالم الموسوعي)، كما أنَّ

---

(١) من الآية ٩٨ من سورة (طه).
(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس ٩٤/١.
(٣) لسان العرب (و س ع) ٣٩٢/٨.
(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي ٦٥٩/٢.
(٥) معجم اللغة العربيَّة المعاصرة ٢٤٤٠/٣.
(٦) السَّابق.

كتابه جديرٌ بأن يوصف بـــ (الكتاب الموسوعي)؛ حيث حوى من العلوم أجلها، علوم القرآن الكريم وعلوم اللغة العربية، ويصح أن يصدق عليه قول القائل:

هذا كتـــابٌ لـــو يُبـــاعُ بوزنِـــه ∴ ذهبًـــا لكـــانَ البـــائعُ المغبونـــا

أوَ ما مِن الخُسْرَانِ أنِّـــي آخـــذٌ ∴ ذهَبًـــا ومُعْـــطٍ لؤلـــؤًا مكْنُونـــا[1]

ثانيًا- نبذة مختصرة عن حياة سيبويه وكتابه:

بدأت بالتعريف بسيبويه – بإيجاز-؛ على ما جرت عليه عادة البحث العلمي من التعريف بشخصية البحث، -وإلا فهو الغني عن التعريف-، اسمه: أبو بشر، عَمْرو بن عُثْمَان بن قنبر، لقب سيبويه، وَمَعْنَاهُ رَائِحَة التفاح، كَانَ أَصله من الْبَيْضَاء من أَرض فَارس، وَنَشَأَ بِالْبَصْرَةِ، وَأخذ عَن الْخَلِيل وَيُونُس وَأبي الْخطاب الْأَخْفَش الكبير وَعِيسَى بن عمر، كان أعلم النَّاس بالنَّحو بعد الخليل، ولم يكن في البصرة ولا في غيرها مثلُه، ساد أهل عصره وفاقهم، فهو إِمامُ أهل البصرة بلا مدافع، ورئيس طبقته بلا منازع[2].

كان سيبويه ثاقب الذهن، مستقل الرأي، نافذ البصيرة، يناقش أساتذته وينقدهم، وربما يخالفهم، لقوة حجته وذكائه وسرعة بديهته، لم يكن ممن يُسلِّم برأيٍ سمعه حتى يختبره ويعرضه على كلام العرب، يتضح هذا من قوله: "والذي ذكرت لك قول الخليل، ورأينا العرب توافقه بعدما سمعناه منه"[3]،

---

(١) البيتان من (الكامل)، ذكرهما محقق كتاب المفردات للراغب الأصفهاني، وقال إنهما جاءا على الصفحة الأولى من مخطوطة المفردات في المكتبة المحمودية. ينظر: المفردات ص٢٦.

(٢) تنظر ترجمته في: طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص٦٦، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٤٦٣/٣.

(٣) الكتاب ١١٧/٢.

وهذا منهج نقدي يظهر براعته في استقصاء العلم، ومقارنته حتى يتحقق له الاطمئنان إلى نتائجه. ومما يدل على ذلك روايةٌ ذكرتها كتب الأدب، جاء فيها: "قال الأخفش: كنت عند يونس، فسأله سيبويه، فقال: كيف تقول: "مررت به المسكينِ"؟ فقال: جائز أن أجرَّه على البدل من الهاء، قال: فقال له: فـ"مررت به المسكينُ" على معنى المسكين مررت به، فقال: هذا خطأ؛ لأنَّ المضمر قبل الظاهر. قال: فقال له: إنَّ الخليل أجاز ذلك وأنشد فيها أبياتًا، فقال: هو خطأ، فغمَّني ذلك، قال: فمررت به المسكينَ، فقال: جائز فقال: على أيِّ شيء ينصب؟ فقال: على الحال، فقال سيبويه: أليس أنت أخبرتني أنَّ الحال لا تكون بالألف واللام؟ فقال له: صدقت، ثم قال لسيبويه: فما قال صاحبك فيه، يعني الخليل؟ فقال سيبويه: قال لي إنَّه ينصب على الترحُّم، فقال: ما أحسن هذا! ورأيته مغمومًا بقوله: نصبته على الحال"(١).

وفاته: لم تطل حياة سيبويه، فقد مات بشيراز في ريعان شبابه، سنة ثَمَانِينَ وَمِائَة على أرجح الأقوال، وقيل غير ذلك(٢). ورثاه الزمخشري بأبيات منها:

أَلا صلى الْإِلَــه صَــلَاة صــدق ∴ على عَمْرو بن عُثْمَان بــن قنبــر

فَــإِن كِتَابــه لــم يغــن عَنــهُ ∴ بَنــو قلــم ولَــا أَبنَــاء مِنْبَــر(٣)

أمَّا عن كتابه، فحدث ولا حرج، هو قرآن النحو –كما سمَّاه المغاربة إجلالًا وتقديرًا له– جمع فيه سيبويه ما تفرق من أقوال من تقدمه من العلماء،

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ٢١٢٨/٥. ولفظ (الْمِسْكِين) هنا يجوز نصبه على: أَعنِي، ويجوز جرُّه على الْبَدَل، وَالرَّفْع على إِضْمَار هُوَ، وَفِيه معنى الترحم مَعَ ذَلِك. وَإِن كَانَ لَفظه لفظ الْخَبَر، فَمَعْنَاه معنى الدُّعَاء.

(٢) ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص٥٨.

(٣) البيتان من (الوافر)، في: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ٢٢٤/١.

كما ضم إليها ما استخرجه هو بنفسه من قواعدَ اعتمادًا على سماعه من العرب الخلص، يقول: "سمعنا العرب الفصحاء يقولون كذا"، و"سمعنا بعض العرب الموثوق به يقول كذا"، كما يقول: "إن هذا البيت أنشدناه أعرابي من أفصح الناس" وهذا كثير في كتابه. شهد له جلُّ أئمَّة النحو واللغة، قال فيه الأزهري: "وَقد نظرتُ فِي كِتَابه فرأيتُ فِيهِ علمًا جمًّا"(١). وقال أبو البركات الأنباري: "وبرع في النحو، وصنف كتابه الذي لم يسبقه أحدٌ على مثله، ولا لحقه أحدٌ من بعده"(٢). وقال الجاحظ: "أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك ففكرت في شيء أهديه إليه، فلم أجد شيئًا أشرف من كتاب سيبويه، فقلت له: أردت أن أهدي لك شيئًا، ففكرت فإذا كل شيء عندك، فلم أر شيئًا أشرف من هذا الكتاب، وهذا كتاب اشتريته من ميراث الفراء، فقال: والله ما أهديت إلي شيئًا أحب لي منه"(٣).

ومما هو معروف عند علماء النحو وأهل اللغة أنَّ بعض عبارات سيبويه كان يكسوها الغموض، فبعضه واضح بيِّن وبعضه غامض ملبس، وهذه مزية -كما يرى علي بن سليمان المعروف بالأخفش الأصغر-، قال: "عمل سيبويه كِتَابه على لُغَة الْعَرَب وخطبها وبلاغتها فَجعل فِيهِ بَينًا مشروحًا وَجعل فِيهِ مشتبهًا؛ ليَكُون لمن استنبطَ وَنظَر فضلٌ"(٤)؛ فإنَّ قدر الْعَالم يشرُف وتفضل مَنْزِلَته إِذْ كَانَ ينَال الْعلم بالفكرة واستنباط الْمعرفَة، وَلَو كَانَ كُله بَينًا لاستوى فِي علمه جَمِيع من سَمعه، فَيبْطل التَّفَاضُل، وَلَكِن يسْتَخْرج مِنْهُ الشَّيْء بالتدبر وَلذَلِك لَا يمل لِأَنَّهُ يزْدَاد فِي تدبره علمًا وفهمًا(٥).

---

(١) تهذيب اللغة ١٧/١.

(٢) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص٥٥.

(٣) ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٦٣/٣، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء ص٥٥.

(٤) خزانة الأدب للبغدادي ١٧٢/٣.

(٥) السابق.

منزلة الكتاب في تدبر العلوم وتحصيلها:

يعد كتاب سيبويه نادرة الزمان، فإن مؤلفه لم يكتف بما سجله فيه من أصول النحو وقواعده، بل إن المطلع على كتابه لا يكاد يراه يترك ظاهرة من ظواهر التعبير العربي إلا أتقنها، فقهًا وعلمًا وتحليلًا. حتى غدا الملهمَ لكثير من العلماء بعده في علوم شتى، قال المبرد: "لم يُعْمَل كتابٌ في علم من العلوم مثلُ كتاب سيبويه، وذلك أنَّ الكتب المصنَّفة في العلوم مضطرةٌ إلى غيرها، وكتاب سيبويه لا يحتاج من فهمه إلى غيره"(١). ومما روي عن الجرمي قوله: "أنا منذ ثلاثين سنة أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه"، فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: أنا رجل مكثر من الحديث، وكتاب سيبويه يعلمني القياس، وأنا أقيس الحديث، وأفتي به"(٢).

قال الإمام الشاطبي في توجيه عبارة الجرمي السابقة، في إشارة إلى أهمية الكتاب وأثره في غيره من العلوم: "وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ أَنَّ سِيبَوَيْهِ وَإِنْ تَكَلَّمَ فِي النَّحْوِ، فَقَدْ نَبَّهَ فِي كَلَامِهِ عَلَى مَقَاصِدِ الْعَرَبِ، وَأَنْحَاءِ تَصَرُّفَاتِهَا فِي أَلْفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا، وَلَمْ يَقْتَصِرْ فِيهِ عَلَى بَيَانِ أَنَّ الْفَاعِلَ مَرْفُوعٌ وَالْمَفْعُولَ مَنْصُوبٌ وَنَحْوِ ذَلِكَ، بَلْ هُوَ يُبَيِّنُ فِي كُلِّ بَابٍ مَا يَلِيقُ بِهِ، حَتَّى إِنَّهُ احْتَوَى عَلَى عِلْمِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَوُجُوهِ تَصَرُّفَاتِ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي، وَمِنْ هُنَالِكَ كَانَ الْجَرْمِيُّ عَلَى مَا قَالَ"(٣). وقيل: "أي: أَنَّ الجرميَّ استغل الدلالات المختلفة التي ربطها سيبويه بالتراكيب اللُّغَوِيَّة في إثراء المعاني المستنبطة من الأحاديث النبَوِيَّة. وكثرة الدلالات يدل على كثرة الجوانب الفقهية التي يمكن أَنْ تُغَطَّى بهذه الدِّلَالَة"(٤).

---

(١) مقدمة الكتاب ١/٥.

(٢) معجم الأدباء= إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب٤/١٤٤٣.

(٣) الموافقات، لإبراهيم بن موسى الغرناطي ٥/٥٤.

(٤) السابق.

لقد حاز سيبويه –بشهادة العلماء، ومع حداثة سنه– كثيرًا من العلوم، بجانب إتقانه النحو، فضرب في كل منها بسهم، قال ابن عائشة(١): "كنا نجلس مع سيبويه النحوي في المسجد، وكان شابًّا جميلًا نظيفًا، قد تعلق من كل علم بسبب، وضرب في كل أدب بسهم، مع حداثة سنِّه وبراعته في النحو"(٢).

وقد تركت تلك المعارف التي سجلها في كتابه الفريد بصمة واضحة في جل علوم العربية، ومنها البلاغة، وأصول اللغة، واللهجات والأصوات، وعلم العروض والقوافي، وبعض علوم القرآن الكريم، كالتجويد وأحكام القرآن الكريم، وعلم الوقف والابتداء وغيرهما، وهو ما سيكشف عنه البحث –بإذن الله تعالى– قال الأزهري: "وَقد نظرتُ فِي كِتَابه فرأيتُ فِيهِ علمًا جمًّا"(٣).

لقد ضرب لنا سيبويه أروع الأمثلة لما ينبغي أن يكون عليه التأليف، وما ينبغي أن يكون عليه حال العالم وما يجدر أن ينتهجه من منهج متكامل، فيأخذ من كل علم بطرف، حتى تتآلف لديه هذه العلوم وتنصهر في عقليَّتِه لتبرز علمًا تكامليًّا وفكرًا موسوعيًّا.

* * *

(١) وَيُقَال لَهُ العيشي، نِسْبَة إِلَى جدته عَائِشَة بنت طَلْحَة، وهو عبيد الله بن محمد البصري، من الحفاظ الأثبات، روى عن حَمَّاد بن سَلمَة وغيره، قَالَ فيه أَبُو حَاتِم: ثِقَة، وَقَالَ أَبُو دَاوُد: كَانَ عَالمًا بِالْعَرَبِيَّةِ وَأَيَّام النَّاس، توفي سنة ثَمَان وَعشْرين وَمِائَتَيْنِ. ينظر: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأحمد بن أبي الخير اليمني ص٢٥٣.

(٢) ينظر: طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص٦٧، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء ص٥٦.

(٣) تهذيب اللغة ١٧/١.

الفصل الأول

معرفة سيبويه بعلوم العربية وأثره في نشأتها

قال الإمام الرازي –رحمه الله–: " أن أجل الكتب المصنفة في النحو واللغة كتاب سيبويه وكتاب العين"(١)، كما وصف ابن خلدون في (تاريخه) كتاب سيبويه بأنه "في علم العربية"(٢)، فخلص أحد الباحثين من هذا إلى أنَّهم كانوا قد اعتادوا حتى عصره التعبير عن النحو بمصطلح "العربية" أو "علم العربية"(٣)، والذي تميل إليه النفس وترجحه القرائن في تفسير عبارة ابن خلدون غير ذلك، فإنَّ ابن خلدون من علماء القرن الثامن الهجري، ذلك العصر الذهبي لازدهار صناعة النحو العربي وتأليف المنظومات العلمية فيه، وكانت مصطلحات العلوم تحددت واستقرت، كما ابن خلدون نفسه استخدم لفظ (النحو) في ذات المصنف أكثر من مرة، ومنها قوله: "فكان صاحب صناعة النَّحو سيبويه والفارسيّ من بعده والزَّجَّاج من بعدهما"(٤).

إضافة إلى أنَّ ابن خلدون يقول في موضع آخر–معربًا عن دور كتاب سيبويه في اكتساب المهارة والملكة اللغوية–: "فإنَّه لم يقتصر على قوانين الإعراب فقط بل ملأ كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم فكان فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة فتجد العاكف عليه والمحصِّل له قد حصل على حظٍّ من كلام العرب واندرج في محفوظه في أماكنه ومفاصل حاجاته، وتنبَّه به لشأن الملكة فاستوفى تعليمها فكان أبلغ في الإفادة"(٥)، فقد

---

(١) المحصول للرازي ص٢١٠.

(٢) ينظر: تاريخ ابن خلدون المسمى= ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ٧٢٨/١.

(٣) وهو د. محمود فهمي حجازي في كتابه علم اللغة العربية ص٦٠.

(٤) تاريخ ابن خلدون ٧٤٨/١.

(٥) تاريخ ابن خلدون المسمى= ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ٧٧٣/١.

صرَّح ابن خلدون هنا بأن كتاب سيبويه لم يقتصر على علم النحو، بل إنَّ مصنِّفَه قد ضمَّنه كثيرًا من فروع اللغة العربيَّة، وهذا حقٌّ؛ فإنَّ من يتأمل كتاب سيبويه يجده جامعًا بين دفتيه كل فنون اللغة العربيَّة، ما ترك من ألوانها لونًا إلا استوفاه ولا من فروعها فرعًا إلا نقَّحه ونقَّاه.

وقد جمعت في هذا الفصل جملة من علوم العربية التي كان سيبويه على معرفة بها مجيدًا فيها متقنًا لها، وكان كتابه أساسًا وعمادًا في نشأة أكثرها، ولشهرة كتابه في علوم العربية كان متعينا على من يريد التصدي لعلم التفسير أن يعتكف عليه يتدبره ويفهم مقاصده، على حدِّ تعبير أبي حيان في كتابه البحر المحيط: " فَجَدِيرٌ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَى عِلْمِ التَّفْسِيرِ، وَتَرَقَّتْ إِلَى التَّحْقِيقِ فِيهِ وَالتَّحْرِيرِ، أَنْ يَعْتَكِفَ عَلَى كِتَابِ سِيبَوَيْهِ، فَهُوَ فِي هَذَا الْفَنِّ الْمُعَوَّلُ عَلَيْهِ، وَالْمُسْتَنَدُ فِي حَلِّ الْمُشْكِلَاتِ إِلَيْهِ"(١).

وجاء هذا الفصل في أربعة مباحث:

المبحث الأول– سيبويه رائد التصنيف في علمي (النحو والتصريف).

المبحث الثاني– أثر فكر سيبويه في نشأة علوم البلاغة.

المبحث الثالث– إرهاصات علم الدلالة بمفهومه الحديث في كتاب سيبويه.

المبحث الرابع– أثر فكر سيبويه في دراسة اللهجات والأصوات

المبحث الخامس– معرفة سيبويه بعلم العروض والقوافي.

(١) البحر المحيط١/١١.

المبحث الأول

سيبويه رائد التصنيف في علمي (النحو والتصريف)

إنَّ للنحو على العربية سلطانًا، وإنَّ له في تراكيبها ودلالاتها سحرًا وبيانًا، فهو يقوم على رعاية التراكيب والدلالات في الكلام العربي، فاستحق بذا أن يكون مِلاكَ العربيَّة بجدارة حائزًا بين علومها شرف السبق والصدارة. ولقد صُنِّفَ كتابُ سيبويه أشهرَ المؤلفات النحويَّة ورائدها ومعينها الذي لا ينضب، فهو خلاصةُ علمٍ من سبقه، ومرجعُ كلِّ من جاء بعدَه، قال فيه ابن كثير: "وَقَدْ صَنَّفَ فِي النَّحْوِ كِتَابًا لَا يُلْحَقُ شَأْوُهُ، وَشَرَحَهُ أَئِمَّةُ النُّحَاةِ بَعْدَهُ فَانْغَمَرُوا فِي لجج بحره، واستخرجوا من دُرره، وَلَمْ يَبْلُغُوا إِلَى قَعْرِهِ... لَمْ يُسْبَقْ إِلَى مِثْلِهِ، وَلَا يَلْحَقُهُ فِيهِ أَحَدٌ"(١)، وقال المازني فيه مُمجِّدًا: "من أَرَادَ أَن يعْمل كتابًا كَبِيرًا فِي النَّحْو بعد سيبويه فليستحي"(٢)، وتناقلت كتب الأدب عبارة لأحد علماء الأندلس(٣) جاء فيها: "لا أعرف كتابًا ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب: ...، والثالث- كتاب سيبويه البصري النحوي، فإن كلَّ واحد من هذه الكتب الثلاثة لم يشذَّ عنه من أصول فنه شيء إلا ما لا خطر له"(٤).

وقد وضع سيبويه كتابه على منهج سديد في التصنيف؛ نسَّق أبوابه على التمام، وأحكم مباحثه أيَّما إحكام، فجعله في قسمين كبيرين: خص أولهما بأبواب النحو وقواعده، وضمَّن ثانيهما أبواب الصرف ومسائله، فما ترك مبحثًا فيهما إلا استقصاه من جميع جوانبه.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٠/١٧٦.

(٢) تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم للتنوخي ص٦٨.

(٣) هو صاعد بن أحمد الجياني من أهل الأندلس، كما ذكر الحموي في معجم الأدباء ٥/٢١٢٤.

(٤) ينظر: معجم الأدباء ٥/٢١٢٤.

• ويكفي أن نتدبر مسألة من مسائل الكتاب ليظهر لنا مدى معرفة سيبويه بأوجه كلام العرب وبراعته في توجيهها نحويًّا والتنظير لها من أفصح كلام كتاب الله -ﷻ-.

* ذكر سيبويه أنَّ بعض المصادر يجوز فيها الرفع والنصب وهي لغير الدعاء، فقال في باب ما يَنتصب على إضمار الفِعل المتروكِ إظهارُه من المَصادر في غير الدُّعاء: "من ذلك قولك: حَمْدًا وشُكْرًا... فإنَّما يَنتصب هذا على إضمار الفعل، كأَنك قلت: أَحْمَدُ الله حمدًا وأشكر الله شُكْرًا...، وإنَّما اختُزِلَ الفعلُ ههنا؛ لأنَّهم جعلوا هذا بدلًا من اللفظ بالفعل، كما فعلوا ذلك في باب الدُّعاء. كأَنَّ قولك: حَمْدًا في موضع أَحْمَدُ الله ....، وقد جاء بعضُ هذا رفعًا يُبتدأُ ثمَّ يُبنَى عليه"(١)، واستدل على وجه الرفع ببيت يرويه يونس رفعًا، وهو قول هنيِّ بن أحمر الكناني:

عَجَبٌ لِتِلْـكَ قَضِـيَّةً وإقـامتِي ∴ فيكم على تلك القضـيَّةِ أَعْجَـبُ(٢)

أي: أمري عجبٌ، كما استشهد بمقولة وبيتٍ يرويهما سيبويه نفسُه عن العرب، قال: "وسمعنا بعضَ العرب الموثوقَ به، يقال له: كيف أَصبحتَ؟ فيقولُ: حمدُ اللهِ وثناءٌ عليه، كأَنَّه يَحمله على مضمَرٍ في نيَّته هو المظهَرُ، كأَنَّه يقول: أمري وشأني حمدُ الله وثناءٌ عليه ...

وهذا مثلُ بيتٍ سمعناه من بعض العرب الموثوق به يَرويه:

---

(١) الكتاب ٣١٨/١.

(٢) من (الكامل)، مختلف في نسبته في مصادره، نسبه السيرافي في شرح أبيات سيبويه ١٥٩/١ لزرافة الباهلي، ونُسِب لغيره. ينظر: شرح المفصل لابن يعيش ٢٨١/١، وهمع الهوامع ١١٨/٢.

فقالت حَنانٌ ما أَتى بــك ههنــا ∴ أَذُو نَسَبٍ أَمْ أنتَ بالحيِّ عــارِفُ[1]

لم تُرِدْ (حِنَّ)، ولكنها قالت: "أمرنُا حَنانٌ"، أو "ما يصيبنا حنانٌ". وفي هذا المعنى كلِّه معنى النصب"[2].

* فوجَّهَ سيبويه النصب في نحو تلك المصادر إلى أنَّ الكلام على إضمار الفعل، وقد وجب اختزاله؛ لأنَّ العرب جعلت هذه المصادر بدلًا من اللفظ بأفعالها كما كان في باب الدعاء، من نحو: "سقيًا لك". فهذه مصادر مسموعة كثر استعمالها، ودلَّت القرائن على حذف عاملها[3].

* أمَّا وجه الرفع عند سيبويه فهو على حذف المبتدأ وجوبًا[4]؛ وإنَّما وجب الحذف لأنَّ الأصل في هذا النوع النصب، لأنَّه مصدر جيء به بدلًا من اللفظ بفعله، فالتزم إضمار ناصبه لئلا يجتمع بدل ومبدل منه في غير إتباع، ثم حمل المرفوع على المنصوب[5]، وقوَّى ابن جنِّي كون المحذوف هو الخبر بظهوره في بيت أنشده لعمر بن أبي ربيعة، وهو قوله:

---

(١) من (الطويل)، لمنذر بن درهم الكلبي في خزانة الأدب ١١٣/٢. أنشده سيبويه على أَن حنانًا خبر مُبْتَدأ مَحْذُوف أَي: شأني حنان، وَالْأَصْل أحن حنانًا فَحذف الْفِعْل وَرفع الْمصدر على الخبرية.

(٢) الكتاب ٣١٩/١، ٣٢٠.

(٣) ينظر: الكتاب ٢١٩/١، والتصريح بمضمون التوضيح لخالد الأزهري ٥٠٢/١.

(٤) يفهم من تقدير سيبويه: (أمري وشأني حمد الله، وأمرنا حنان)، ويجوز عند بعض النحاة أن يعرب المذكور مبتدأ والمحذوف هو الخبر، أي: حمد الله أمري وشأني، وحنان حالي وهكذا، ينظر: الخصائص ٣٦٤/٢، واللمع في العربية ص٣٠، وأمالي ابن الشجري ٦١/٢.

(٥) حيث قال: "فتركوا إظهارَ الرافع كترك إظهار الناصب، ولأنَّ فيه ذلك المعنى وكان بدلًا من اللفظ بالفعل" الكتاب ٣٢١/١، وينظر: شرح التسهيل لابن مالك ٢٨٧/١.

فقالتْ على اسمِ اللهِ أَمْرُكَ طاعةٌ ∴ وإن كنتُ قد كُلِّفْتُ ما لم أُعَــوَّدِ[(١)]

وجعل سيبويه مما جاء بالرفع –والحالة هذه– القراءة برفع (معذرة) في قول الله –ﷻ–: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[(٢)]، قال: "ومثلُه في أنَّه على الابتداء وليس على فعلٍ قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾. لم يريدُوا أن يَعتذروا اعتذارًا مستأنَفًا من أمرٍ ليمُوا عليه، ولكنَّهم قيل لهم: "لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا"؟ قالوا: مَوْعِظتُنا مَعْذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُم. ولو قال رجلٌ لرجلٍ: معذرةً إلى الله وإليك من كذا وكذا، يريد اعتذارًا، لنصب"[(٣)].

فيذكر سيبويه فيها جواز الرفع والنصب، لكنه –مع ذلك– يختار الرفع، يفهم من قوله السابق: "لم يريدُوا أن يَعتذروا اعتذارًا مستأنَفًا من أمرٍ ليمُوا عليه،..."[(٤)]. ويبدو أنَّ سيبويه لم تبلغه قراءة عاصم بالنصب، ولو بلغته لاستغنى بها عن عبارة "ولو قال رجلٌ لرجلٍ...". فالقراءتان صحيحتان واردتان في الآية الكريمة، والرفع قراءة الجمهور، والنصب قراءة عاصم في رواية حفص عنه[(٥)].

* وقد خطَّأ بعض النحويين سيبويه في الكتاب في موضعين، أحدهما– القول ببناء (أي) وهي مضافة، قال أبو جعفر النحاس: "ما علمت أنَّ أحدًا من

---

(١) من (الطويل)، لعمر بن أبي ربيعة في ملحق ديوانه ص٤٨٢، وذكره ابن جني في الخصائص ٣٦٤/٢، والشاهد في قوله: "أمرك طاعةٌ"؛ حيث ظهر المبتدأ وهو قوله: (أمرك) مما يدل على وجوب تقديره.

(٢) من الآية (١٦٤) من سورة الأعراف.

(٣) الكتاب ٣٢٠/١.

(٤) الكتاب ٣٢٠/١. وينظر: البحر المحيط ٢٠٨/٥.

(٥) تنظر القراءة وتوجيهها في: السبعة في القراءات لابن مجاهد ص٢٦٩، ومعاني القراءات للأزهري ٤٢٧/١، وحجة القراءات لأبي زرعة بن زنجلة ص٣٠٠.

النحويين إلَّا وقد خطَّأ سيبويه في هذا. سمعت أبا إسحاق يقول: "ما يبين لي أنَّ سيبويه غلط في كتابه إلَّا في موضعين هذا أحدهما"، قال: "وقد علمنا سيبويه أنه أعرب «أيًّا» وهي منفردة؛ لأنَّها تضاف، فكيف يبنيها وهي مضافة؟"(١)، وروي عن الزجاج قوله: "مَا تَبَيَّنَ لِي أَنَّ سِيبَوَيْهِ غَلِطَ فِي كِتَابِهِ إِلَّا فِي مَوْضِعَيْنِ هَذَا أَحَدُهُمَا"(٢). وبالرجوع لكتاب سيبويه نجد أنَّه ذكر (أيّ) في باب يختص بها، ذكر فيه مذهبه فيها من حيث الإعراب والبناء كما فصَّل أقوال شيوخه وموقفه منها، ومما جاء فيه: "اعلم أنَّ أيًّا مضافًا وغير مضاف بمنزلة (مَنْ)، ألا ترى أنك تقول: أيٌّ أفضل، وأيُّ القوم أفضلُ. فصار المضاف وغير المضاف يجريان مجرى مَن، كما أن زيدًا وزيدَ مَناة يجريان مجرى عمرو، فحال المضاف في الإعراب والحُسن والقبح كحال المفرد... وسألتُ الخليل – رحمه الله– عن قولهم: اضربْ أيُّهم أفضل؟ فقال: القياس النصب، كما تقول: اضرب الذي أفضلُ ... إلخ"(٣).

وأذكر هنا خلاصة مذاهب النحويين في (أي)، وتطبيقها على الآية الكريمة: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾ (٤)(٥):

أولاً– مذهب سيبويه، أنَّه اسمٌ موصولٌ بمعنَى: (الَّذِي)، وقد حذف العائد من صلته، وأصله: "أيّهم هو أشدُّ"، فحذف (هُو) العائد المرفوع، وهذا

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٧/٣.

(٢) ينظر: فتح القدير للشوكاني ٤٠٦/٣.

(٣) الكتاب ٣٩٨/٢.

(٤) من الآية (٦٩) من سورة مريم.

(٥) تنظر هذه المذاهب في: شرح المفصل لابن يعيش ٣٣١/٤ وما بعدها، والإنصاف في مسائل الخلاف ٥٨٤/٢ وما بعدها، وتوضيح المقاصد والمسالك للمرادي ٢١٨/١ وما بعدها.

الحذف أشبه الغاياتِ من نحوِ: "قبلُ، وبعدُ". فإنه لمَّا حذف منها المضاف إليه، بنيت على الضمِّ، كذلك "أيهُم"، لمَّا حذف من صلتها العائد الذي هو من تمامها وبه إيضاحُها صار كحذف المضاف إليه، فبُنيت على الضمِّ لذلك، وموضعها نصبٌ بالفعل الذي هو (لننزعنَّ). ومثله "أضربُ أيّهم أفضلُ".

ثانيًا- مذهب الخليل، يحمله على الحكاية وإضمارِ قولٍ، تقديرُه: لننزعنَّ من كلِّ شيعة الذي يُقال فيه: أيُّهم أشدُّ، فـــ "أيُّهم" هنا عنده استفهامٌ مرفوع بالابتداء رَفعَ إعراب.

* وانتُقِضَ بأنَّ ما ذكره بابُه الضرورة، والشعرُ أجملُ به، فلا يُصار إليه، وعنه مندوحة.

ثالثًا- مذهب يونس، كان يرى تعليقَ "لننزعنَّ" وما كان نحوه من غير أفعال القلوب، نحوَ: "اضرب أيّهم أفضل" على تعليق العامل، وشبهه بـــ "أشهدُ إنك لَرسولُ الله"؛ فالتعليق عنده لا يختص بأفعال القلوب.

* ومذهبه فاسدٌ؛ لانتفاء الشبه؛ لأنَّ ما بعد "أشهد" كلامٌ مستقل قائم بنفسه، وليس كذلك "أيّهم أفضل". كما أنَّ التعليق لا يكون إلَّا في أفعال القلب.

رابعًا- مذهب الكوفيين، ذهبوا إلى ما قاله الخليل إلا أنهم جعلوا الجملة في محل نصب بـــ (ننزِعَنَّ)، وبعض الكوفيين يقرأ الآية الكريمة بالنصب، قال سيبويه: "وحدَّثنا هارون أن ناسًا، وهم الكوفيون يقرؤونها: "ثم لننزِعنَّ من كل شيعةٍ أيَّهم أشدُّ عَلى الرَّحْمَنِ عُتيًّا"، وهي لغة جيدة، نصبوها كما جروها حين قالوا: "امرُرْ على أيِّهم أفضلُ"، فأجراها هؤلاء مجرى الذي إذا قلت: اضربِ الذي أفضلُ؛ لأنك تُنزل أيًّا ومَن منزلة الذي في غير الجزاء والاستفهام"[1].

---

(١) الكتاب ٣٩٩/٢.

ويعضُد ما قالوا ما حكاه الجَرْمي، قال: من حينِ خرجتُ من الخَنْدَق، يعني خندقَ البصرة، حتَّى صرتُ إلى مكةَ، لم أسمع أحدًا يقول: "اضرب أيُّهُم أفضلُ"، أي: كلهم ينصب(١).

وأُجِيبَ عنهم بأنَّ القراءة بالنصب شاذة جاءت على لغة شاذة لبعض العرب، ولم يقع الخلاف في هذه القراءة؛ وإنما وقع الخلاف في اللغة الفصيحة المشهورة، والقراءة المشهورة التي عليها قَرَأَة الأمصار "أيُّهم" بالضم، وهي حجَّةٌ عليهم.

كما أنَّ "لننزعن" فعل متعدٍّ؛ فلا بد أن يكون له مفعول إما مظهر أو مقدر، و"أيّهم" يصلح أن يكون مفعولًا، وهو ملفوظ به مُظْهَر، فكان أولى من تقدير مفعول مقدر. وحكايةُ الجرمي لا تمنع أن يكون غيرُه سمع خلافَ ما رواه، ويكونَ ما سمعه لغة لبعض العرب.

* وبناء على ما سبق فأكثر هذه المذاهب لم يسلم من وجه يفسده، ولذلك رجَّح أكثرُ المحققين مذهب سيبويه، قال ابن يعيش: "والوجهُ ما ذهب إليه سيبويه؛ لأنَّ نظيرَ "أيهم" (مَن، وما)، وهما مبنيَّان، وكان حق "أيهم" أن يكون مبنيًّا كأخواته لوقوعه موقعَ حرف الاستفهام، أو الجزاء، أو موقعَ "الذي"، فلمَّا سقط أحدُ جُزأي الجملة من الصلة، وهو العائد، نقص، فعاد إلى الأصل، وهو البناء(٢). وقال الألوسي: "والوجه الذي ينساق إليه الذهن ويساعده اللفظ والمعنى هو ما ذهب إليه سيبويه، ومدار ما ذهب إليه في (أيّ) من الإعراب والبناء هو السَّماع في الحقيقة، وتعليلات النحويين على ما فيها إنما هي بعد الوقوع، وعدم سماع لا يقدح في سماعه فتدبر"(٣)، ويقول يوسف بن أحمد

---

(١) ينظر: شرح المفصل ٣٨٣/٢.

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٣٣٢/٤.

(٣) روح المعاني ٤٣٧/٨.

المعروف بالسمين الحلبي: "في هذه الآيةِ أقوالٌ كثيرةٌ، أظهرُها عند الجمهور من المعربين، وهو مذهب سيبويه: أن «أيُّهم» موصولةٌ بمعنى الذي، وأنَّ حركتَها حركةُ بناءٍ بُنِيَتْ عند سيبويه، لخروجِها عن النظائر، و«أَشَدُّ» خبرُ مبتدأ مضمرٍ، والجملةُ صلةٌ لـــ«أيُّهم»، و «أيُّهم» وصلتُها في محل نصب مفعولًا بها بقوله «لَنَنْزِعَنَّ»"(١).

* ويُذكَر أنَّ المازني غلَّط سيبويه في تسمية الحركات البنائيَّة بالمجاري؛ لأنَّ الجري إنما يكون لما يوجد تارة ويُعدم تارة، والمبني لا يزول عن حاله، فلا تجري عليه هذا التسمية، وكان الواجب عليه أن يقول: المجاري أربعة وهي الأحوال الإعرابية، وأجيب عنه بأنَّ المبنيات قد تحرك عند الدرج ولا تحرَّك عند الوقف فلم تكن تلك الأحوال لازمة لها مطلقًا(٢).

وهكذا فكل انتقاد وُجِّه لسيبويه يتصدر من العلماء من يذب عنه وينتصر له. ولا يخفى على أحد في هذا الشأن كتاب (الانتصار لسيبويه على المبرد) لابن ولاد (ت٣٣٢هـــ).

ولأنَّ سيبويه شافه العرب وسمع منهم، عنهم أخذ ومن ألسنتهم استمد وفهم مقاصدهم؛ فقد كانت آراؤه محلَّ تقديرٍ وقَبولٍ بين النَّحويين، قال ابن يعيش –بعد أن ذكر مسألة خلافيَّة–: "والصحيحُ ما ذهب إليه سيبويه لموافَقته كلامَ العرب"(٣)، وعندما ذكر خلافًا في رواية أحد الشواهد ختم –مرجحًا رواية سيبويه– بقوله: "فإن سيبويه رواه عن بعض العرب وهو ثقةٌ، لا سبيلَ إلى رَد ما رواه"(٤)، وقال ابن هشام: "الثاني قَول سيبويه الَّذِي شافه الْعَرَب

(١) الدر المصون ٦٢٠/٧، ٦٢١.
(٢) ينظر: تفسير الرازي المسمى مفاتيح الغيب ٥٧/١.
(٣) شرح المفصل ٩٢/٤.
(٤) شرح المفصل ٤٦٦/٤.

وَفهم مقاصدهم"[١]. ومما يُذكرُ في التعصب لسيبويه ترجيح ابن عقيل مذهبه في القول بانفصال الضمير الثاني من نحو: (خلتنيه)[٢] -مع كثرة شواهد الاتصال-، متمثلًا بقول الشاعر:

إِذَا قَالَتْ حَذَامِ فَصَدِّقُوهَا ∴ فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامِ[٣]

وكأنه أراد أن يعرف الحق بأن يكون منسوبًا إلى عالم جليل كسيبويه، وهي فكرة لا يجوز للعلماء أن يتمسكوا بها[٤]، بل ينبغي أن يعرف الرجال بالحق لا أن يعرف الحق بالرجال.

وأختم هذا الحديث عن معارف سيبويه في النحو ومكانة كتابه بعبارة أبي الطيب اللغوي (ت٣٥١هـ) في حقِّ سيبويه: "وهو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل، وألف كتابه الذي سماه الناس قرآن النحو"[٥].

***

(١) مغني اللبيب ص٤٦٢.

(٢) وهو كل فعل تعدى إلى مفعولين الثاني منهما خبر في الأصل وهما ضميران ومذهب سيبويه أن المختار في هذا أيضًا الانفصال نحو: خلتني إياه، واختار ابن مالك الاتصال. ينظر: شرح ابن عقيل ١٠٤/١.

(٣) من (الوافر)، للجيم بن صعب أو ديسم بن طارق في مصادره. وللنحويين فيه شاهد، وهو على بناء (حذام) على الكسر، على لغة الحجازيين. وفيه للعرب لغتان غير هذه، إحداهما لبَعض بني تَمِيم وَهِي إعرابه إِعْرَاب مَا لَا ينْصَرف مُطلقًا، والأخرى لجمهورهم وَهِي التَّفْصِيل بَين أَن يكون مَخْتُومًا بالراء فيبنى على الْكسر أَو غير مختوم بهَا فَيمْنَع الصَّرْف.

ينظر: شرح شذور الذهب لابن هشام ص١٢٤.

(٤) ينظر: منحة الجليل حاشية الشيخ محيي الدين على شرح ابن عقيل ١٠٥/١.

(٥) مراتب النحويين، ص٧٣.

* **أمَّا عن التصريف** فإنَّ سيبويه يُعدُّ من أوائل من ذكره وهو أوفى من سطره، استوفى مباحثه واستقصى جوانبه، فشرح بابي النسب والتصغير، وفصَّل أوزان المصادر وجموع التكسير، كما أنَّه جمع فيه صيغ الأسماء والأفعال، وأوضح الإمالة والإعلال، والقلب والإبدال، وبيَّن أسماء الأماكن والأزمان، وغير ذلك من مباحث التصريف كحروف الزيادة واسم الآلة وغيرهما، ثمَّ جاء من بعده فلم يزيدوا على ما ذكره إلا النزر اليسير، ويذكر أنَّ الجرمي هو أول من اهتم بهذه الأبنية في كتاب سيبويه، يقول أحدهم: "اهتم أبو عمر الجرمي(ت٢٢٥هـ) بدراسة الأبنية الصرفية التي وردت في كتاب سيبويه، وصنف في ذلك كتبًا كثيرة لا نعرف إلا أسماءها"(١).

وظلت الأبنية والصيغ التي نقلها سيبويه عن العرب هي القول الفصل والمرجع الأصل لكل من صنف بعده في علم الصرف، من ذلك –على سبيل المثال–:

* ذكر سيبويه أنَّ أبنية القلة (أربعة)، ومثل لها في قوله: "فأبنية أدنى العدد (أفعُلٌ) نحو: أكلبٍ وأكعبٍ، و(أفعالٌ) نحو: أجمالٍ وأعدالٍ وأحمالٍ، و(أفعلةٌ) نحو: أجربةٍ وأنصبةٍ وأغربةٍ، و(فِعْلةٌ) نحو: غلمةٍ وصبيةٍ وفتيةٍ وإخوةٍ وولدةٍ، فتلك أربعة أبنية، فما خلا هذا فهو في الأصل للأكثر وإن شَرِكَه الأقل..."(٢). ثمَّ ختم كلامه بقوله: "وكذلكَ سمعناها من العرب"(٣). فحصر سيبويه أبنية جموع القلة في أربعة أبنية موضوعة للثلاثة إلى العشرة، وما عداها للكثرة، وهذا ما تناقلته كتب النحاةُ بعده فما زادوا عليها بناء واحدًا(٤)، ونظمها ابن مالك في قوله:

---

(١) العبارة للدكتور محمود فهمي حجازي في كتابه علم اللغة العربية ص٨٥.
(٢) الكتاب ٣/٤٩٠.
(٣) السَّابق.
(٤) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش ٣/٢٢٤، والتصريح بمضمون التوضيح ٢/٥٢٢ وما بعدها.

أفعِلـــةٌ أَفْعُـــلُ ثـــم فِعْلَـــهْ ∴ ثُمَّـــتَ أفعـــالٌ جُمـــوعُ قِلَّـــةْ[١]

وكثيرًا ما يصحح الصرفيون مذهب سيبويه في التصريف على من يخالفه؛ لأنَّه شافه العرب وسمع منهم؛ فهو عندهم في المكانة السُّميا والمنزلة العليا، مثلًا: يذكر سيبويه من الأفعال القاصرة التي لا تتعدى إلى المفعول (افعَنْلَلَ وافعَنْلَى)[٢]، ووافقه أكثر النحويين[٣]، وفيه نظَم ابنُ مالك قوله:

ولازمٌ غيـــر المعـــدَّى وحُـــتِم ∴ لزومُ أفعـــالِ السَّـــجايا كـــ(نَهِم)

كذا افعلَّ والمضاهي اقعنســـا ∴ وما اقتضـــى نظافـــة أو دنســـا[٤]

في حين يرى ابن جني أنه يجوز في الأخيرة التعدي واللزوم، قال: "ولا يكون "افْعَنْلَلت" متعديًا أبدًا؛ لأنه نظير "انْفَعَلت"، ألا ترى أن فيه نونًا وهمزة وصل، كما أن "انفعلت" كذلك، و"افعَنْليت" على ضربين: متعد، وغير متعد"[٥]. واستشهد على استعماله متعديًا بقول الراجز:

قَـــد جَعَـــلَ النُّعـــاسُ يَغرَنـــدِينِي ∴ أَدفَعُـــهُ عَنِّـــي، ويَســـرَنْدِينِي[٦]

---

(١) الألفية ص٣٤٢.

(٢) ينظر: الكتاب ٤/٢٨٦،٢٨٧. ومعناهما: "يعلو" ويتسلط".

(٣) ينظر: مغني اللبيب ص٦٧٥، وشرح الأشموني ١/٤٣٩.

(٤) الألفية ص١٧٨.

(٥) المنصف شرح تصريف المازني لابن جني ص٨٦.

(٦) قائله مجهول، قال البغدادي في شرح شواهد الشافية في الجزء الرابع الملحق بكتاب شرح الشافية للرضي: "وقلما خلا عن هذا الرجز كتاب من علم الصرف، ومع ذلك لم يعرف قائله" ينظر البيت في: شرح شافية ابن الحاجب للرضي ١/١١٤، ومغني اللبيب ص٦٧٥.

والشاهد فيه: "يغرنديني، يسرنديني"؛ حيث جعله ابن جنِّي صحيحًا لا شذوذ فيه، واختلف النحويون في تخريجه، فمنهم من حمله على الحذف والإيصال، وجعله ابن هشام شاذًّا.

وقد نقل علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور مذهبيهما، ثمَّ صحَّح مذهب سيبويه، ورد البيت الذي استشهد به ابن جني بأنه لم يرد تعدي الفعل في سواه، مع احتمال كونه مصنوعًا(١).

* وأذكر من مسائل التصريف التي تكشف عناية الصرفيِّين بمذهب سيبويه وتقديرهم له مسألة الوقف على المقصور المنون، فإنه يوقف عليه في جميع أحواله (الرفع والنصب والجر) بالألف باتفاق، نحو: عصا ورحى(٢)، وقد نظم ابن الحاجب في هذا المعنى قوله:

وباتفـــاق يبـــدلون الألفـــا ∴ للْوَقْف فِي بَاب رحى مثل: قفـا(٣)

لكنهم اختلفوا في نوع هذه الألف على ثلاثة مذاهب(٤):

الأول- مذهب سيبويه أنَّ الألف في حال الرفع والخفض هي الألفُ الأصليَّةُ والتنوينُ محذوفٌ، وفي النصب هي الألف المبدلةُ من التنوين والألفُ الأصليَّةُ محذوفةٌ، قياسًا للمعتلِّ على الصحيح. قال: "وقد يحذفون في الوقف الياء التي قبلها كسرة وهي من نفس الحرف، نحو القاض...، فأما الألف فليست كذلك، لأنها أخف عليهم. ألا تراهم يفرون إليها في مثنى ونحوه ولا يحذفونها في وقف. ويقولون في فخذٍ: فخذٌ، وفي رسلٍ: رسلٌ، ولا يخففون الجمل لأن الفتحة أخف عليهم من الضمة والكسرة، كما أن الألف أخف عليهم من الياء والواو"(٥).

---

(١) ينظر: الممتع الكبير في التصريف ص١٢٧.

(٢) ينظر: الشافية في علم التصريف والوافية نظم الشافية لابن الحاجب ص٦٣، والممتع الكبير في التصريف ص٢٧٠.

(٣) ينظر: الشافية في علم التصريف والوافية نظم الشافية ص٤٨.

(٤) تنظر المذاهب وتوجيهها والترجيح بينها في: شرح المفصل لابن يعيش ٢٢٢/٥ وما بعدها، وشرح الكافية الشافية ١٩٨٢/٤.

(٥) الكتاب ١٦٧/٤. وينظر: الممتع الكبير في التصريف ص٢٧١.

المذهب الثاني- مذهب الكسائي: أنَّ الألف هي الأصل، والمبدلة من التنوين محذوفة في جميع الأحوال، وحجَّتُه: أنَّ حذفَ الألف الزائدة أولى من حذف الأصليَّة.

وأبطِل مذهبُه بأنَّ الزيادة لمعنى، فإبقاؤها أولى من إبقاء الأصل. وممَّا يدلُّ على ذلك أنهم إذا وصلوا قالوا: "هذه عَصًا مُعْوجَّةٌ"، فحذفوا الألف الأصليَّةَ وأبقَوا التنوينَ، فكذلك يجب في الوقف أن يكون المحذوف الألفَ الأصليَّةَ، ويكون الثابت ما هو عوضٌ من التنوين.

المذهب الثالث- مذهب المازني: أنَّها في الأحوال الثلاثة بدلٌ من التنوين، وحُجَّتُه: أنَّ الذي مَنعَ أنْ يُبدل من التنوين في الرفع والخفض إنَّما هو الاستثقال؛ لأنه إنَّما ينبغي أن تُبدِل من التنوين حرفًا من جنس الحركة التي قبله، فلو أَبدلتَ في الرفع لقيل: "زَيدُو"، وفي الخفض: "زَيدِي"، والياء والواو ثقيلتان. وأمَّا في النصب فتُبدِل لأنَّ الذي قَبلَ التنوين فتحة، فإذا أَبدلت فإنَّما تُبدِل الألف – وهي خفيفة- نحو: رأيتُ زيدًا. فلمَّا كان ما قبلَ التنوين في المنقوص فتحةً في جميع الأحوال ساوى الرفعُ والخفضُ النصبَ، فوجب الوقف عنده في الأحوال الثلاثة بالألف.

وأُبْطِل مذهبُه؛ بأنه لو كان الأمر على ما زَعمَ لم تَقعِ الألف من المقصور قافيةً؛ لأنَّ مجيء الألف المبدلة من التنوين قافيةً لا يجوزُ.

واختار ابن مالك مذهب الكسائي، فقال في شرح الكافية الشافية: "وذكر ابن برهان أن مذهب أبي عمرو والكسائي أن الألف الموقوف عليها في المقصور لا تكون أبدًا إلا الألف التي هي من نفس الاسم مرفوعًا كان أو مجرورًا أو منصوبًا، وهذا المذهب أقوى من غيره، وهذا موافق لمذهب ربيعة في حذفهم تنوين الصحيح دون بدل، والوقف عليه بالسكون مطلقًا، وتقوي هذا المذهب الرواية بإمالة الألف وقفًا، والاعتداد بها رويًّا، وبدل

التنوين غير صالح لذلك. وهذا الذي حكاه ابن برهان عن أبي عمرو والكسائي هو اختيار السيرافي، وبه أقول"(١).

لكنَّ أكثرَ المحققين على ترجيح مذهب سيبويه، قال أبو البقاء العكبري: "والمُختارُ مذهبُ سيبويهِ. ووجهُهُ أنَّ الألفَ لامُ الكلمةِ فكان الوقف عليها في الجرِّ والرَّفعِ كالاسم الصَّحيح، وهي في النَّصب بَدَلٌ من التَّنوين كالاسم الصَّحيحِ أيضًا، وبيانهُ: أنَّ المذهبَ المشهورَ في الاسم الصَّحيحِ أن تقولَ في الرَّفع والجرِّ: هذا زيدٌ ومررتُ بزيدٍ، فتقف على الدَّالِ من غير إبدالٍ، فكذلك المُعتَلّ، وذلك أنَّ الصحيحَ هو الأصلُ المعلومُ، والمقصورُ مجهولٌ من جهةِ اللَّفظِ فيجبُ أن يحملَ على المعلومِ الظَّاهِرِ، إذ حكم المجهولات أن تردَّ إلى المعلومات، والمقدَّرُ محمولٌ على المُحقَّق"(٢). وقال ابن عصفور: "قياسًا للمعتل على الصحيح، وهو مذهبُ سيبويه وهو الصحيح. وممَّا يؤيِّد ذلك كونُ المنقوص يُمال في حال الرفع والخفضِ، ولا يُمال في حال النصب، ومجيءُ الألف قافيةً في الرفع والخفض، ولا تكون قافية في حال النصبِ إلَّا قليلًا جدًّا، على لغة من قال: رأيتُ زَيدْ"(٣).

وهكذا.. فكثيرًا ما تكون عبارات سيبويه في التصريف مرجع الصرفيين، منها ينهلون، وإلى نصوصه يحتكمون، أكثرهم يعتبرون آراءه المذهب الصحيح وعليها يكون مدار الترجيح، لأنَّه شافه العرب وسمع كلامهم الفصيح.

وأختم المبحث بقول ابن سيده اللغوي (٤٥٨هـ) يثني على إمام النحويين- بعد أن ذكر أمورًا يعيبها على أهل اللغة-: "وَللَّه در حذَّاق

---

(١) شرح الكافية الشافية ١٩٨٣/٤.

(٢) التبيين عن مذاهب النحويين ص١٨٧.

(٣) الممتع الكبير في التصريف ص٢٧١.

النَّحْوِيين، سيبويه فَمن دونه، فِي التَّحَرُّز من ذَلِك، وَأَيْنَ أجسم فَائِدَة فِي هَذِه الجموع من قَول سيبويه فِي الشَّيْء الَّذِي ينْفَرد بِبِنَاء وَاحِد من الْجمع: إِنَّه لَا يكسَّر على غير ذَلِك، كالأفئدة، والأكُفِّ، والأقدام، والأرجل، وَغير ذَلِك، مِمَّا لَا أَسْتَطِيع وقفك على جَمِيعه، إِلَّا بِقِرَاءَة كتاب سيبويه، الَّذِي هُوَ نور الْآدَاب ومادة أَنْوَاع الْإِعْرَاب"(١).

***

(١) المحكم والمحيط الأعظم، المقدمة ص٣٨.

المبحث الثاني

أثر فكر سيبويه في نشأة علوم البلاغة

لقد كان لفكر سيبويه الذي تجلى في كتابه أثر بالغ في فكر علماء البلاغة منذ نشأتها، فقد حوى الكتاب إشاراتٍ إلى مسائلَ صارت فيما بعد أساسًا لمباحثَ بلاغيَّةٍ مهمَّةٍ، وإنَّ المتتبع لنصوص البلاغيين في مؤلفاتهم يجد أقوال سيبويه مرجعًا لكثير منهم، ولا أدل على ذلك من كتابهم الرائد (دلائل الإعجاز) لشيخ البلاغيين وإمام صنعتهم عبد القاهر الجرجاني، فقد اشتمل على نصوص لسيبويه، وكان كثيرًا ما يشير إليه بـــ(صاحب الكتاب). من هذه المسائل:

في باب التقديم والتأخير: وهو مبحث من مباحث البلاغيين، "كثير الفوائد، جَمُّ المَحاسن، واسعُ التصرف، بعيدُ الغاية" –على حد تعبير الجرجاني– الذي اعتمد في هذا المبحث على قول سيبويه –في باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول–: "فإن قدمتَ المفعولَ وأخَّرتَ الفاعل جرى اللفظُ كما جرى في الأوَّل، وذلك قولك: ضَرَبَ زيدًا عبدُ الله؛ لأنَّك إنَّما أردت به مُؤخَّرًا ما أردت به مقدَّمًا، ولم تُرد أن تَشغلَ الفعل بأوَّلَ منه وإنْ كان مؤخرًا في اللفظ. فَمن ثَمَّ كان حدُّ اللفظ أن يكون فيه مقدَّمًا، وهو عربيٌّ جيِّد كثير، كأنَّهم إنَّما يقدِّمون الذي بيانه أهمُّ لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعًا يُهِمَّانِهم ويَعْنِيانهم"(١). ومعنى عبارة سيبويه أنَّ تقديم ما أصله التأخير دليلٌ على الاعتناء به والاهتمام بذكره، وقد نقل الجرجاني عبارة سيبويه الأخيرة بنصِّها، ثم قال: "وقال النحويون: إنَّ معنى ذلك أنه قد يكونُ من أغراض الناس في فعلٍ ما، أنْ يَقَع بإنسانٍ بعينه، ولا يُبالون مَنْ أَوْقَعَه"(٢).

---

(١) الكتاب ١/٣٤.

(٢) دلائل الإعجاز ص٣٤.

واستشهد له في كتابه (دلائل الإعجاز) بما يؤيده.

التقديم والتأخير مع النفي: يرى عبد القاهر الجرجاني أنَّ تقديم الاسم على الفعل في سياق النفي يقتضي وجود الفعل مع تخصيص النفي عن المتقدم، فهو من طرق القصر عند البلاغيين(١)، قال عبد القاهر: "إذا قلْتَ: (ما فعلتُ) كنْتَ نَفَيْتَ عنك فِعْلًا لم يَثْبتْ أَنه مفعولٌ. وإذا قلتَ: (ما أنا فعلْتُ) كنتَ نفَيْتَ عنك فِعْلًا ثَبَت أَنه مفْعُولٌ...".

ومما استشهد به الجرجانيُّ قول المتنبي:

وَمَا أَنا أَسْــقَمْتُ جِسْــمِي بِــه ∴ وَمَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَــارَا(٢)

وبالشطر الأول من قوله:

وَمَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشِّعْرَ كُلَّهُ ∴ وَلَكِنْ لشعري فِيكَ من نَفْسِهِ شِعْرُ(٣)

وأوضح مراده بقوله: "الشعرُ مَقولٌ على القَطْع، والنفي لأن يكونَ هوَ وحْدَه القائلَ له" (٤). ومما استشهد به قول الله –ﷻ–: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (٥)، وقوله –سبحانه–: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ﴾ (٦).

---

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين القزويني ٥٣/٢.

(٢) من (المتقارب)، للمتنبي، والشاهد فيه كما قال القزويني: أنَّ هذا السقم الموجود والضرم الثابت ما أنا جالب لهما، فالقصد إلى نفي كونه فاعلًا لهما لا إلى نفيهما. الإيضاح ٥٣/٢.

(٣) من (الطويل)، من قصيدة للمتنبي يمدح فيها علي بن عامر الأنطاكي، في ديوانه ص١٩٢، وهو في: شرح شافية ابن الحاجب ١١٩/٤.

(٤) دلائل الإعجاز ص١٢٥: ١٣١.

(٥) من الآية (٣) من سورة الفرقان.

(٦) من الآية (٦١) من سورة المائدة.

ثمَّ يشير الجرجاني إلى أنَّه استفاد هذه العلة الذوقية من سيبويه، قال: "وهذا الذي قد ذكرتُ من أنَّ تقديمَ ذكرِ المُحَدَّث عنه يفيد التنبيهَ له، قد ذكَرَه صاحبُ "الكتاب" في المفعول إذا قُدِّم فرُفِع بالابتداء، وبُنيَ الفعلُ الناصبُ كان له عليه، وعُدِّيَ إلى ضميره فشُغِلَ به، كقولنا في "ضربتُ عبدَ الله": (عبدُ الله ضرَبتُه)، فقال: وإنما قلتَ (عبدُ الله) فنبَّهْتَه له، ثم بَنيتَ عليه الفعلَ ورفعْتَه بالابتداء"(١).

وفي أغراض تقديم المسند إليه: ذكر عبد القاهر أنه قد يكون الغرض من تقديم المسند إليه تنبيه السامع لِقَصْدهم بالحديث، من قَبْل ذِكْر الحديث، ليُحقِّق الأَمرَ ويؤكِّدَه. وجعل من أوضح شواهده قولَ عروةَ بنِ أُذَينَةَ:

سُـــــلَيْمَى أَزمَعَـــــتْ بَيْنَـــــا ∴ فَـــــأينَ تقُولُهـــــا أَينَـــــا(٢)

قال: "أراد أن يُحقِّق الأمرَ ويؤكدَه فأَوقَعَ ذِكرَها في سمع الذي كلّم ابتداءً ومِن أول الأمر، ليعلَم قَبْل هذا الحديث أنه أرادها بالحديث، فيكون ذلك أبعدَ له من الشك"(٣).

ولم يتنكب شيخ البلاغيين عن أن يصرِّح بأنَّ ملهمه هذا المعنى هو إمام النحويين سيبويه، قال: "وهذا الذي قد ذكرتُ من أنَّ تقديمَ ذكرِ المحدَّث عنه يفيد التنبيهَ له، قد ذكَرَه صاحبُ "الكتاب" في المفعول إذا قُدِّم فرُفِع بالابتداء، وبُنيَ الفعلُ الناصبُ كان له عليه، وعُدِّيَ إلى ضميره فشُغِلَ به، كقولنا في

---

(١) دلائل الإعجاز ص١٣١، وينظر: الكتاب ٨٥/١.

(٢) من (مجزوء الوافر)، لعروة بن أذينة في ديوانه ص٣٩٨، وهو من شواهد: العقد الفريد لابن عبد ربه ١٣/٧.

(٣) دلائل الإعجاز ص١٣١.

"ضربتُ عبدَ الله": (عبدُ الله ضَرَبتُه)، فقال: وإنما قلتَ (عبدُ الله) فنبَّهْتَه له، ثم بَنيتَ عليه الفعلَ ورفعْتَه بالابتداء"(١).

كما استشهد عبد القاهر بعدها في جواز تقديم النكرة والابتداء بها عند إرادة الجنس بنفس النص لسيبويه، فقال: "وإذا اعتبرتَ ما قدَّمتُهُ من قول صاحب الكتاب: إنَّكَ قلتَ "عبدُ الله" فنبهْتَه له، ثم بَنيْتَ عليه الفعل، وجدْتَه يطابق هذا. وذاكَ أَنَّ التنبيه لا يكون إلَّا على معلوم، كما أنَّ قَصْرَ الفعل لا يكونُ إلَّا على معلوم"(٢).

وفي باب الحذف، وتحديدًا عند حديثه عن حذف المبتدأ بدأ الجرجاني حديثه –كالمعتاد– بعباراته العذبة وأسلوبه الرائق، قال: "هو بابٌ دقيقُ المَسْلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأَمر، شبيهٌ بالسِّحْر؛ فإنكَ ترى به تَرْكَ الذكر أَفْصَحَ من الذكْرِ، والصمتَ عن الإفادةِ أَزْيَدَ للإفادة؛ وتَجدُكَ أَنْطَقَ ما تكونُ إذا لم تَنْطِقْ، وأَتمَّ ما تكونُ بيانًا إذا لم تُبِنْ"(٣).

فلما أراد أن ينبه على صحة ما ذكر بإقامة الحجة من كلام العرب عليه لم يجد أولى من عبارات شيخ النحويين وإمام العربية (سيبويه) حتى نقل عنه نفس الشواهد التي احتج بها، قال عبد القاهر: "وأنا أَكتبُ لك بَديئًا أمثلةً مما عَرَضَ فيه الحذفُ، ثم أُنبهُكَ على صحة ما أشرتُ إليه، وأُقيمُ الحجَّةَ من ذلك عليه. أنشدَ صاحب الكتاب:

اعتادَ قَلْبُكَ مِنْ سَلْمَى عَوائدُه ∴ وهاج أَهواءَك المكنونةَ الطَّلَلُ

---

(١) السابق، وعبارة سيبويه في الكتاب ٨١/١. وينظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٣٧٣/١.

(٢) دلائل الإعجاز ص١٤٥.

(٣) السابق ص١٤٦.

رَبعٌ قَواءٌ أَذاعَ المُعْصِراتُ بـه ∴ وكلُّ حَيرانَ سارٍ مـاؤُه خَضِـلُ[١]

قال: أراد: ذاكَ رَبْعٌ قَواء، أو هو رَبْعٌ[٢]، ... ولم يَحمل البيتَ الأوّل على أنَّ (الربع) بَدَلٌ من (الطلل) لأنَّ الرَّبْع أكثرُ من الطلل؛ والشيء يُبدَلُ مما هو مِثلُه أو أكثرُ منه، فأما الشيء مِنْ أَقلَّ منه، ففاسدٌ لا يُتَصور. وهذه طريقةٌ مستمرة لهم، إذا ذكَروا الديارَ والمنازل"[٣].

كذلك عندما تحدث عن (حذف الفعل) من صور الحذف، استشهد ببيت الكتاب، قال: "وكما يُضْمِرون المبتدأَ فيرفعون، فقد يُضْمرون الفِعْل فيَنْصبونَ، كبيت الكتاب أيضًا:

ديـارَ ميَّـةَ إذْ مـيٌّ تُسَـاعِفُنَا ∴ ولا يَرى مثْلَها عُجْمٌ ولا عَـرَبُ[٤]

أَنْشَدَهُ بنَصْبِ "ديار" على إضمار فعل، كأنه قال: أذكرُ ديارَ مية"[٥].

وما نقله الشيخ الجرجاني مختصر من نص صاحب الكتاب، فإنَّ سيبويه لم يكتف بالإشارة إلى الحذف، وإنما أبان عن سببه، وهو كثرة الاستعمال مع تقدم ذكره، قال: "كأَنه قال: أَذْكُرُ ديارَ مَيَّة. ولكنَّه لا يذكر (أذكر)؛ لكثرة ذلك في كلامهم، واستعمالهم إيَّاه، ولَما كان فيه من ذكر الدِّيار قبل ذلك"[٦]. وينقل

---

(١) من (البسيط)، لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه، كما ورد في: شرح أبيات سيبويه ٢٥٩/١، والخصائص ٢٢٩/٣، ومغني اللبيب ص٧٨٤.

(٢) نص سيبويه في الكتاب ٢٨٢/١: "كأَنه قال: وذاك رَبْعٌ، أو هو رَبعٌ، رَفَعَه على ذا وما أشبهَه، سمعناه ممَّن يرويه عن العرب".

(٣) دلائل الإعجاز ص١٤٧.

(٤) من (البسيط)، لذي الرمة في ديوانه بشرح الباهلي ٢٣/١، وهو في: نوادر أبي زيد ص٢٠٨، والكتاب ٢٨٠/١، وشرح أبيات الكتاب ٣٨٣/١.

(٥) دلائل الإعجاز ص١٤٧.

(٦) الكتاب ٢٨٠/١.

سيبويه نفس التعليل السابق (كثرة الاستعمال) عن الخليل لمجموعة من الجمل التي حذف فيها الفعل وهي: "وراءك أوسع لك"، و"حسبك خيرًا لك"، وقول الله –ﷻ–: ﴿ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ [1] فيقول: " انتَصب، وحذَفوا الفعل لكثرة استعمالِهم إيَّاه في الكلام، ولعلم المخاطَب أَنَّه محمولٌ على أمرٍ"[2].

* **ومن حذف المسند بعد (إنَّ):** ذكر عبد القاهر في دلائله أن من تأثير (إنَّ) في الجملة أنها تُغْني إذا كانت فيها عن الخَبر في بعض الكلامِ، وكان فكر سيبويه في كتابه هو ملهم عبد القاهر هذا المعنى؛ فقد سبقه به سيبويه وخصص له بابًا، عنونه: "باب ما يحسن عليه السكوت في هذه الأحرف الخمسة" وبينه بقوله: "لإضمارك ما يكون مستقَرًّا لها وموضعًا لو أظهرته، وليس هذا المضمَر بنفس المظهر. وذلك: إنَّ مالًا وإن ولدًا وإن عددًا، أي: إن لهم مالًا. فالذي أضمرت لَهُمْ. ويقول الرجل للرجل: هل لكم أحدٌ إن الناس ألْبٌ عليكم، فيقول: إن زيدًا، وإن عمرًا، أي: إن لنا. وقال الأعشى:

إنَّ مَحَلًّـــــا وإنَّ مُرتحَلًـــــا ∴ وإنَّ في السَّفْر ما مَضَى مَهَـــلا[3]

وتقول: إن غيرها إبلًا وشاء كأنه قال: إن لنا غيرَها إبلًا وشاء، أو عندنا غيرَها إبلًا وشاء. فالذي تضمِر هذا النحو وما أشبهه. وانتصب الإبلُ والشاء كانتصاب فارسٍ إذا قلت: ما في الناس مثلُه فارسًا"[4]. وقد نقل عبد القاهر نص سيبويه بتمامه واستشهد بنفس شواهده، ثم قال –مظهرًا الجانب البلاغي في كلامه–: " فقد أراك في هذا كلِّه أنَّ الخبرَ محذوف؛ وقد تَرى حُسْنَ الكلامِ

---

(١) من الآية (١٧١) من سورة النساء.

(٢) الكتاب ٢٨٣/١.

(٣) من (المنسرح)، وَالْمعْنَى: إِن لنا فِي الدُّنْيَا حلولًا وَلنَا عَنْهَا إِلَى الْآخِرَة ارتحالًا، من شواهد: الأمالي الشجرية ٦٣/٢.

(٤) الكتاب ١٤١/٢.

وصحَّتَه مع حذفِه وترْكِ النطق به؛ ثم إنَّك إنْ عمَدْتَ إلى "إنَّ" فأسقطتَها وجدْتَ الذي كان حسُنَ من حذف الخبرِ، لا يَحْسُنُ أو لا يَسوغُ. فلو قلتَ: (مالٌ وعددٌ ومحلٌّ ومرتحلٌ وغيرُها إبلًا وشاءً)، لم يكنْ شيئًا. وذلك أنَّ "إنَّ" كانت السَّببَ في أنْ حَسُنَ حذفُ الذي حُذِفَ من الخَبر، وأنها حاضِنتُهُ والمترجِمُ عنه والمتكفِّلُ بشأنه"(١). وقال شيخ البلاغيين في العصر الحديث(٢) -مشيدًا بفكر سيبويه البلاغي الرائد-: "وعبارة سيبويه في هذا البحث لا ترشد إلى أن الحذف هنا جائز فحسب، وإنَّما ترشد إلى أنه باب من أبواب الحسن، ولعله يقصد ما نزعمه سببًا في بلاغة هذه الأساليب من وجازة الجمل، ونقائها ودلالتها على قوة نفس منشئها، وامتلاء حسه". ﴿ **وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ** ﴾ (٣)، فأين هؤلاء الذين يزعمون أنَّ النحاة لا فتيا لهم في مواقع الفصاحة والبلاغة، ولا عندهم معرفة بأسرارهما(٤)، وقد تبيَّن جليًّا أنَّ أوائل النحاة هم أئمة علماء البلاغة.

ولا أحسبني أبالغ حين أقول إنَّ سيبويه بفكره العلمي المتكامل وعقليته الفذة يعد رائد الفكر البلاغي في كثير من مباحثه ومشعل جذوة علومه بنصوصه التي تعد مرجعًا لعلماء البلاغة، ومواضع تبلور الجانب البلاغي أحد مظاهر التكامل الفكري عند سيبويه في كتابه أكثر من أن تحصى، وإنما أشرت إلى بعضها مما يفي بالغرض ويأتي على المقصد وفيه الكفاية بإذن الله -تعالى-.

---

(١) دلائل الإعجاز ص٣٢٢.

(٢) وهو د. محمد أبو موسى في: (خصائص التركيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني) ص٢٨١.

(٣) من الآية (٢٦) من سورة يوسف.

(٤) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب لابن الأثير ١٥٢/٢.

المبحث الثالث

إرهاصات علم الدلالة بمفهومه الحديث في كتاب سيبويه

يسميه بعضُهم: (علم الدَّلالة) -ويضبط بفتح الدال وكسرها-، ويسميه آخرون: (علم المعنى) بالإفراد. ويعرَّف بأنَّه: "العلم الذي يدرس المعنى"، أو "ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى"، أو " الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرًا على حمل المعنى"(١).

ومن الموضوعات التي يتناولها علم الدلالة الحديث: الدلالة الصوتية، وتتناول بعض الظواهر اللغوية، الفونيمات التركيبية (ويُقْصَد بها حروف الهجاء العربية التسعة والعشرون)، والفونيم غير التركيبي (ويقصد به بعض الظواهر اللغوية، كـــ/ النبر والتنغيم وطول الصوت والفاصلة وما إلى ذلك من أحوال الصوت التي تغير الدلالة دون تغيير حروف الكلمة (فونيمات الكلمة)، وهذا موجود في اللغة العربية، فيمكن أن ننطق عبارة واحدة بصيغة الخبر أو الاستفهام أو التعجب، اعتمادًا على التنغيم. وكذلك الدلالة الصرفية، والدلالة النحوية، ومنه ما يسمى بالنحو التوليدي التحويلي أو الوصف الدقيق للغة، والتركيب الموحد والتعبير المركب، والدلالة السِّياقيَّة، ومشاكل التعدد في العلاقة بين اللفظ والمعنى(٢).

وهذه المصطلحات وإن كان أكثرها مستحدثًا إلا أن المقصود منها قد تناول أكثره سيبويه في كتابه مفرقًا بين أبواب الكتاب ومباحثه، وللتأكيد على ذلك أذكر بعض عبارات سيبويه التي تؤكد اشتمال كتابه على مباحث من علم الدلالة بمفهومه الحديث؛ وصولًا إلى النتيجة بأن هذا العلم يرجع أصله إلى سيبويه مثل أكثر علوم العربية. من ذلك:

---

(١) ينظر: علم الدلالة، للدكتور/ أحمد مختار عمر ص١١.

(٢) مختصر من بحث د. مي الجبوري: المستوى الدلالي في كتاب سيبويه.

في موضوع (الفونيمات التركيبية) فصَّل سيبويه حروف الهجاء التسعة والعشرين للغة العربية في باب عنوانه: (هذا باب عدد الحروف العربية، ومخارجها، ومهموسها ومجهورها، وأحوال مجهورها ومهموسها، واختلافها)، وقد صدَّره بقوله: "فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفًا: الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والكاف، والقاف، والضاد، والجيم، والشين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظَّاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو"(١). ثمَّ تطرق إلى الحروف القصيرة وهي (الحركات) ويطلق عليها في علم الدلالة الحديث: (الألفونات)(٢).

وما عُرِف في علم الدلالة الحديث بالنحو التوليدي التحويلي، فيعني في مفهومه البسيط (القياس)، حيث يعنون به: تحويل الإمكانات الكامنة عند مستخدمي اللغة، حتى يستطيع بالمختزن لديه أن يقدم جملًا وعبارات لم يسبق أن سمعها، أي: إمكانات توليد الجمل الجديدة اعتمادًا على إمكانات اللغة(٣)، والنحو التوليدي بهذا المعنى متوفر بكثرة في كتاب سيبويه، فهو لم يكتف في استشهاده بالسماع وإنما كثيرًا ما كان يعتمد في توجيهه واستنباط الأحكام النحوية على القياس، فكثيرًا ما يقول سيبويه: (فلو قلت كذا...، ولو قلت كذا)، فهذا افتراض أمثلة لم تتكلم بها العرب وإنما تكلمت بما هو على شاكلتها فيقيس على ما تفوهت به العرب، منه: "لو قلت: ما زيدٌ عاقلًا أبوه نصبتَ وكان كلامًا"(٤)، وقوله: "لو قلت: هل زيدٌ أنا ضاربُه؟ لكان جيِّدًا في

---

(١) ينظر: الكتاب ٤/٤٣١.

(٢) ينظر: الكتاب ٤/٤٤٢.

(٣) ينظر: المستوى الدلالي في كتاب سيبويه ص١٠.

(٤) الكتاب١ /٦١.

الكلام، لأن ضاربًا اسمٌ وإن كان في معنى الفعل"[١]، ومنه قوله: "والدَّليل على ذلك أنك لو أردت أن تجمع قومًا على خالد وحاتم كما قلت: المناذرة والمهالبة لقلت: الحواتم والخوالد"[٢]. وهذا كثير عند سيبويه لا يكاد يُحصى.

وبالنسبة لمصطلحي (التركيب الموحَّد والتعبير المركب) فهما مصطلحان مستحدثان في هذا العلم[٣]، يقصد بأولهما: كلمتان اتصلتا في كلمة لم تعُد تعني ما يفهم من فهم معاني المفردتين المتصلتين، وهو ما يعرف عند النحويين بالمركب المزجي، وهذا تمامًا ما ذكره سيبويه في باب الشيئين اللَّذين ضُمَّ أحدهما إلى الآخر فجعلا بمنزلة اسم واحد، ومن أمثلته التي ذكرها: "حضرموت، وبعلبك، ورام هرمز ومعد يكَرِب في بعض اللغات"[٤]، أما المصطلح الآخر فهو يعني التعبير المركب يتكون من كلمتين متصلتين، ويتميز بأن الكلمة الرئيسة منهما ما تزال تنتمي إلى المجال الدلالي نفسه، وهو ما يعرف عند النحويين بـــ(النَّحت).

وقد ذكره سيبويه في كتابه قبل نشأة هذا العلم بمفهومه الحديث بقرون، قال: "فمن كلام العرب أن يجعلوا الشيء كالشيء إذا أشبهه في بعض المواضع. وقالوا: حضرميٌّ كما قالوا: عبدريٌّ، وفعلوا به ما فعلوا بالمضاف"، وقد عنون له: "هذا باب الإضافة إلى الاسمين اللذين ضم أحدهما إلى الآخر فجعلا اسمًا واحدًا"[٥].

---

(١) الكتاب ١/١١٠.

(٢) الكتاب ٣/٣٩٠.

(٣) ينظر: علم الدلالة ص٣٣، والمستوى الدلالي في كتاب سيبويه ص١٣، ١٤.

(٤) ينظر ٣/٢٩٦.

(٥) الكتاب ٣/٣٧٤.

وآخر ما أشير إليه ما عرف في علم الدلالة بـــ(مشاكل التعدد في العلاقة بين اللفظ والمعنى)، وقد ذكر د. أحمد مختار عمر أنَّ ألفاظ اللغة من حيث دلالتها ثلاثة أنواع:

١- المتباين، وهو أكثر ألفاظ اللغة، وذلك أن يدلَّ اللفظ الواحد على معنـــى واحد.

٢- المشترك اللفظي، وهو أن يدلَّ اللفظ الواحد على أكثر من معنى.

٣- المترادف، وهو أن يدل أكثر من لفظ على معنى واحد(١).

ويذكر فضيلة الدكتور أنَّ كتاب المنجد لكراع النمل (علي بن الحسن الهنائي ت٣١٠هـ) هو أقدم كتاب شامل يصلنا في موضوع المشترك اللفظي؛ إذ يحتوي على قرابة تسعمائة كلمة(٢).

وهذا قول سديد لا غبار عليه، لكن سيبويه قد أشار في كتابه إلى المشترك اللفظي، والمترادف، وإن لم يتوسع فيه توسع من جاء بعده، يقول: "هذا باب اللفظ للمعاني، اعلم أنَّ من كلامِهم اختلاف اللفظينِ لاختلاف المعنيينِ، واختلافَ اللفظينِ والمعنى واحدٌ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، وسترى ذلك إن شاء الله. فاختلافُ اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلسَ وذهبَ. واختلاف اللفظين والمعنى واحدٌ نحو: ذهبَ وانطلقَ. واتفاق اللفظين والمعنى مختلِف قولك: وجَدتُ عليه من المَوْجِدة، ووجَدت إذا أردت وجدان الضَّالَّة. وأشباه هذا كثيرٌ"(٣). ليعدُّ سيبويه بذلك من أوائل العلماء الذين تنبهوا لهذه الظواهر اللغوية في كلام العرب، ونوَّه بها في كتابه، فيكون بحقٍّ هو المؤسسَ الأول لعلم الدلالة.

---

(١) ينظر: علم الدلالة ص١٤٥.

(٢) السابق ص١٥٢.

(٣) الكتاب ٢٤/١.

وأختم هذا المبحث بعبارة د. مي الجبوري، تثني على سيبويه –وهو لذلك أهل–: "فتحيَّةٌ لهذا العالم الفذِّ، ولتلك العقليَّة التي سعت لخدمة اللغة العربية لغة القرآن الكريم والحفاظ عليها بأسلوب لا يبارَى وبأنفاس المسلم المخلص لها الحريص على تأملها ولمِّ شتات قواعدها"(١).

(١) المستوى الدلالي في كتاب سيبويه ص١٨.

المبحث الرابع

أثر فكر سيبويه في دراسة اللهجات والأصوات

اللهجة فِي الِاصْطِلَاح العلمي الحَدِيث هِيَ: "مَجْمُوعَة من الصِّفَات اللُّغَوِيَّة تنتمي إِلَى بيئة خَاصَّة أَو هِيَ قيود صوتية تلحظ عِنْد أَدَاء الْأَلْفَاظ فِي بيئة مُعينَة"(١). ويشترك فِي هَذِه الصِّفَات جَمِيع أَفْرَاد البيئة وبيئة اللهجة هِيَ جُزْء من بيئة أوسع وأشمل تضم عده لهجات لكل مِنْهَا خصائصها وَلكنهَا تشترك جَمِيعًا فِي مَجْمُوعَة من الظَّوَاهِر اللُّغَوِيَّة الَّتِي تيَسّر اتِّصَال أَفْرَاد هَذِه البيئات بَعضهم بِبَعْض(٢). واختلاف لهجات العرب آية من آيات الله سبحانه، "واختلاف ألسنتكم وألوانكم"، وهي على اختلافها تعدُّ مصدرا للتقعيد اللغوي، لكن تظل لغة القرآن الكريم هي أفصح اللغات وأوسعها استعمالًا، وقد اهتم سيبويه في كتابه بلهجات العرب المختلفة، وبنى عليها قواعده، وكثيرا ما يشير إلى هذه القبائل فينتشر في كتابه ذكر القبائل العربية، مثل: "بنو تميم، وأهل الحجاز، وبنو أسد، وهذيل، وقضاعة، وبنو ضبة، وبنو قيس وغيرها. وهذا أظهر من أن يُطلب عليه شاهد. وهو كثير وأكثر منه أن يذكر اللهجة دون أن يشير إلى أصحابها، كأن يقول: "ومن العرب من يقول كذا".

وكان سيبويه في الغالب حياديًا في عرضه لهجات العرب، فقليلا ما يصف لغة بأنها ضعيفة أو رديئة أو شاذة، وأكثر اللهجات ذكرا في كتاب سيبويه لغة أهل الحجاز ولهجة بني تميم، أحيانا يستحسن هذه وغالبا ما يستحسن تلك، يقول في استحسان لهجة أهل الحجاز: "والحجازية هي اللغة الأولى القدمى"(٣)، و "والبيان في كل هذا عربيٌّ جيد حجازيٌّ"(٤)، و "وهي

---

(١) الراموز على الصحاح للسيد محمد حسن ٢٨/١.

(٢) السابق.

(٣) الكتاب ٢٧٨/٣.

(٤) الكتاب ٤٣٧/٤.

الحجازية الجيدة"[١]، ومن استحسانه لهجة التميميين قوله: "اعلم أن أهل الحجاز يقولون إذا قال الرجل رأيت زيدا: مَن زيدا؟ وإذا قال مررتُ بزيد قالوا: مَن زيد؟ وإذا قال: هذا عبد الله قالوا: من عبد الله؟ وأما بنو تميم فيرفعون على كل حال. وهو أقيسُ القولين"[٢]. وعندما يرجح لغة على أخرى تكون الراجحة الممثلة للفصحى، وهي في الغالب الحجازية، ولا يقلل هذا عنده من شأن اللهجة الأخرى فهي فصيحة أيضًا.

وقد سجَّل سيبويه في كتابه كثيرا من الظواهر اللغوية مما اختلفت العرب في كيفية النطق به، ونُقِلت عنه فيما بعد، منها –على سبيل المثال–:

أولاً– "**الإدغام وفك التضعيف**" في الفعل الثلاثي المضعَّف، فقد نسب إلى أهل الحجاز فك التضعيف وإلى بني تميم وغيرهم الإدغام، قال: " فإذا كان حرفٌ من هذه الحروف في موضع تسكن فيه لام الفعل فإنَّ أهل الحجاز يضاعفون؛ لأنَّهم أسكنوا الآخر، فلم يكن بدٌّ من تحريك الذي قبله؛ لأنَّه لا يلتقي ساكنان. وذلك قولك: اردد واجترر...، وأما بنو تميم فيدغمون المجزوم كما أدغموا، إذ كان الحرفان متحركين لما ذكرنا من المتحركين، فيسكنون الأول ويحرِّكون الآخر، لأنَّهما لا يسكنان جميعا، وهو قول غيرهم من العرب، وهم كثير"[٣].

ويبدوا أن سيبويه يعتبر لهجة الحجازيين هنا هي الأجود؛ حيث قال في موضع آخر من كتابه: "ودعاهم سكون الآخر في المثلين أن بين أهل الحجاز في الجزم فقالوا أردد ولا تردد. وهي اللغة العربية القديمة الجيدة. ولكن بني تميم أدغموا ولم يشبهوها برددت، لأنه يدركها التثنية، والنون الخفيفة

---

(١) الكتاب٤/٤٨٢.

(٢) الكتاب٢/٤١٣.

(٣) الكتاب٣/٥٣٠.

والثقيلة، والألف واللام وألف الوصل، فتحرك لهن"[١].

وبه صرَّح ابن مالك، قاسه على الاستعمال القرآني؛ حيث جاء أكثره في القرآن الكريم بفك التضعيف على لهجة الحجازيين، وقليل منه بالإدغام على لهجة بني تميم، قال ابن مالك: "فمن القليل المنزل بلغة التميميين: **{وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ}**[٢]، في سورة الحشر. .. فإن الإدغام في المجزوم والأمر لغة تميم، والفك لغة الحجاز ولذلك كثر نحو: ﴿ **وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ** ﴾[٣]، ﴿**وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ** ﴾و [٤]، و﴿**فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ** ﴾[٥]، و﴿**يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾[٦]، ... وهو كثير"[٧].

ثانيًا- ظاهرة الإبدال: ويقصد بالإبدال "ابدال الحروف واقامة بعضها مقام بعض كَمَدَحَه ومَدَهَه"[٨]. وهو يعد مظهرا من مظاهر التنوع اللهجي عند العرب، وقد أشار سيبويه في كتابه إلى جملة منها، نحو: (إبدال الشين من الكاف الدالة على المفردة المؤنثة)، وهو ما يعرف بـــ(كشكة ربيعة، أو كشكة تميم)[٩]، وذكر سيبويه أنَّها لهجة لغالب بني تميم، قال: "فأمَّا ناسٌ كثير من تميم وناسٌ من أسدٍ فإنهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين. وذلك أنهم

---

(١) الكتاب٤/٤٧٣.

(٢) من الآية (٤) من سورة الحشر.

(٣) من الآية (٢١٧) من سورة البقرة.

(٤) من الآية (٢٨٢) من سورة البقرة.

(٥) من الآية (٢٨٢) من سورة البقرة.

(٦) من الآية (٣١) من سورة آل عمران.

(٧) شرح التسهيل لابن مالك٢/٢٨٧.

(٨) البلغة إلى أصول اللغة ص٣٦.

(٩)ينظر: الخصائص٢/١٣، وبعضهم ينسبها إلى تميم عامة. ينظر: شرح المفصل ١٧٩/٥.

أرادوا البيان في الوقف؛ لأنها ساكنة في الوقف فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث؛ وأرادوا التحقيق والتوكيد في الفصل؛ لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف كان أقوى من أن يفصلوا بحركة"(١). وذكر الثعالبي هذه اللغة في (حكاية العوارض التي تعرض لألسنة العرب)، وأنه قرئ بها [قَدْ جَعَلَ رَبُّشِ تَحْتَشِ سَرِيًّا] لقولهِ تعالى: **{قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا}**(٢)(٣).

ويوجه سيبويه الإبدال على هذا اللغة –كما يفهم من كلامه في النص السابق– بأنه للفرق بينه وبين المذكر عند الوقف على الكاف التي للمخاطبة المؤنثة. وفيه نظر؛ فإنَّ ما ورد عن أصحاب اللغة من شواهد يظهر أنه غير مختص بحالة الوقف، قال شاعرهم يخاطب غزالة جاعلا عينيها عيني محبوبته:

فَعَيْنَاشِ عَيْنَاهَا وجِيدُشِ جِيــدُها ∴ ولكنَّ عِظم السَّاق مِنْشِ رَقِيــقُ(٤)

فأبدل الشاعر الكاف الدالة على المخاطبة المؤنثة شينا في غير وقفٍ.

وغير ذلك كثير من صور الإبدال عند بعض القبائل العربية نقله سيبويه عنهم، كإحلال الشين محل الجيم، قال سيبويه: "والجيم أيضًا قد قربت منها فجعلت بمنزلة الشين"(٥)، وهو ينشأ عن عدم إغلاق مخرج الجيم إغلاقًا تامًّا، وهي ظاهرة لازلت موجودة في بعض القبائل العربية، ومنها كذلك إشمام الصاد صوت الزاي، فتكون في النطق كأنها زاي مفخمة وهي الظاء العامية

---

(١) الكتاب٤/١٩٩.

(٢) من الآية (٢٤) من سورة مريم.

(٣) ينظر: فقه اللغة وسر العربية ص٩٠.

(٤) من(الطويل)، لمجنون ليلى في جمهرة اللغة لابن دريد١/٤٣، وسر الصناعة١/٢١٨، وتاج العروس١٧/٣٦١، ولغيلان بن حريث في المعجم المفصل٥/١٩٠.

(٥) الكتاب٤/٤٧٩.

عندنا، قال سيبويه: "وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها زايا خالصة، كما جعلوا الإطباق ذاهبًا في الإدغام. وذلك قولك في التصدير: التزدير، وفي الفصد: الفزد، وفي أصدرت: أزدرت... وربما ضارعوا بها وهي بعيدة، نحو مصادر، والصراط؛ لأن الطاء كالدال، والمضارعة هنا وإن بعدت الدال بمنزلة قولهم: صويقٌ ومصاليق، فأبدلوا السين صاداً كما أبدلوها حين لم يكن بينهما شيء في: صقت ونحوه. ولم تكن المضارعة هنا الوجه؛ لأنك تخل بالصاد؛ لأنَّها مطبقة"(١).

ثالثًا- الاختلاف اللهجي في حركة فاء المبني لما لم يسم فاعله من الثلاثي الأجوف: وهو ما كان عَيْنُهُ حَرْفَ عِلَّةٍ، كقَالَ وباعَ، يقالّ له: "أجوف" لخُلُوِّ جوفِهِ من الحَرْفِ الصحيحِ، أوْ لوقوع حَرفِ العِلَّة في جَوْفِهِ. ويقال: ذو الثلاثة أيضا؛ لصَيْرُورَتِهِ على ثَلاثةِ أحْرُفٍ في المُتَكَلِّمِ، كـــ: قلْتُ(٢). وهذا الفعل عند بنائه لما لم يسمَّ فاعله فإن للعرب فيه على ثلاث لهجات ذكرها سيبويه في كتابه، في قوله: "وإذا قلت فعل من هذه الأشياء كسرت الفاء وحولت عليها حركة العين كما فعلت ذلك في فعلت لتغير حركة الأصل لو لم تعتل، كما كسرت الفاء حيث كانت العين منكسرة للاعتلال. وذلك قولك: خيف، وبيع، وهب، وقيل. وبعض العرب يقول: خيف وبيع وقيل، فيشم إرادة أن يبين أنها فعل. وبعض من يضم يقول: بوع وقول وخوف وهوب، يتبع الياء ما قبلها كما قال موقن"(٣). وبيان هذا اللهجات -كما ذكرها سيبويه-:

١- لهجة تكسر الفاء، فتقلب العين ياء، إن لم تكنها، بأن تُلقى حركة الفاء،

---

(١) الكتاب ٤/٤٧٨.

(٢) ينظر: المفتاح في الصرف ص٤١.

(٣) الكتاب ٤/٣٤٢.

وتُنقل حركة العين إليها، تخفيفًا، فيقال في قال وباع : "قِيلَ، وبِيعَ"(١).

٢- لهجة تشم الفاء الضم، والإشمام هو الإتيان بالفاء بحركة بين الضم والكسر ولا يظهر ذلك إلا في اللفظ ولا يظهر في الخط(٢).

٣- لهجة تضم الفاء، فتقلب العين واوا، إن لم تكنها؛ حيث تنقلب الياء واوا لسكونها بعد ضمة وتسلم الواو لسكونها بعد حركة تجانسها.

ووصف سيبويه اللهجة الأولى بأنها الأصل والأجود، وما غيرها داخل عليها، قال بعد أن ذكرها جميعا: "وهذه اللغات دواخل على قيل، وبيع، وخيف، وهيب، والأصل الكسر"(٣). وكونها هي الأجود لا شكَّ فيه؛ لمجيء النظم القرآني عليها، ومنه قول الله-تعالى-: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ ﴾(٤)، و﴿ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾(٥). وبعضهم قرأ بالإشمام، لكن أكثر القراء على الكسر. وأشار إليها جميعا ابن مالك بقوله:

واكسر أو اشممْ فا ثلاثي أُعِلْ ∴ عينا وضم جا كبُوع فاحتُمِلْ(٦)

فأشار بقوله: "فاحتمل" إلى ضعف هذه اللغة إلى سابقتيها، وتعزى إلى بني فقعس ودبير(٧). وروي باللهجات الثلاثة قول الشاعر:

---

(١) والأصل: بُيِعَ وقُوِلَ، فاستثقلت كَسْرةٌ على حرف علَّةٍ بعد ضمَّةٍ، فَأُلْقِيَت الضمّةُ، ونُقِلَت الكسرة إلى مكانها، فَسَلِمت الياءُ من (بِيعَ) ؛ لسكونها بعد حركةٍ تُجانِسُهَا، وانقلبت الواو ياءً من (قِيلَ)؛ لسكونها بعد كسرة، فصار اللّفظ بما أصله الياء، كاللّفظ بما أصله الواو. ينظر: اللمحة في شرح الملحة١/٣١٦.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل٢/١١٧.

(٣) الكتاب٤/٣٤٢.

(٤) من الآية (٤٤) من سورة هود.

(٥) من الآية (٢٧) من سورة الملك.

(٦) الألفية ص٢٧.

(٧) ينظر: شرح الأشموني١/٤١٦، وشذا العرف في فن الصرف ص٤١.

حُوكَتْ عَلَــى نِيــرِيْنِ إذْ تُحَــاكُ ∴ تَخْتَــبِطُ الشَّــوكَ ولا تُشَــاكُ[1]

وغير ذلك كثير من مظاهر الاختلاف اللهجي قد أشار إليها سيبويه في كتابه، وعدت فيما بعد مرجعا لكل من تكلم في لهجات العرب، مثل: ظاهرة الإدغام، والإعلال، وتباين لهجات العرب في الهمزة من حيث التحقيق والتخفيف بصوره المختلفة كالتسهيل والإبدال والحذف، وحذف بعض أصول الكلمة، والقلب المكاني... إلخ.

***

(١) من (الرجز)، لم أقف على قائله. وجه الاستشهاد به: أخلص فيه الضم، فقلبت ألفه واوا؛ ويروى: "حيكت" فيكون شاهدا على إخلاص الكسر. ويقرأ بالإشمام كذلك. ينظر: المنصف شرح تصريف المازني ص٢٥٠، وشرح الكافية الشافية لابن مالك٢/٦٠٥، وشذا العرف ص٤١.

المبحث الخامس

معرفة سيبويه بعلم العروض والقوافي

يتنوع الكلام العربي بين المنثور والمنظوم، وإذا كان علم النحو يُعنى بالكلام المنثور، يوضح فصيحه من شاذه، فإن علم العروض يُعنى بالمنظوم من الكلام العربي، موضع فخار العرب وشطر العربية، يبين صحيحه من فاسده وموزونه من منكسره، عرَّفه العروضيون بأنه: "علم يُبْحث فيه عن أحوال الأوزان المعتبرة" أو "هو ميزان الشعر، به يعرف مكسوره من موزونه، كما أن النحو معيار الكلام به يعرف معربه من ملحونه"(١).

فكما يضبط علم النحو الكلام المنثور فإن علم العروض يضبط الكلام المنظوم، فكلاهما لا غنى لطالب العربية عنه، حيث يهدفان معًا إلى الوصول باللغة إلى أفصح مستوياتها كما نطقت بها العرب، وإلى محاكاتها.

من هنا جاءت أهمية علم العروض، وتبين خطأ الطاعنين فيه بعدم الحاجة إلى دراسته، وواضع هذا العلم هو الخليل صاحب العين وأستاذ سيبويه، وقد اشتهر أنَّ كتاب القوافي للأخفش هو أول مصنف عروضي يصلنا، لكن الحقيقة أنَّ كتاب سيبويه من قبله قد تضمَّن مصطلحات وقواعد عروضية، وكان قد أفاده من شيخه الخليل الذي كان حريصًا على ملازمته، لكن هذه المباحث العروضيَّة جاءت مبثوثة في ثنايا الكتاب مختلطة بقضايا النحو والتصريف، ويوضح هذا ما نجده في كتاب سيبويه من الإشارة إلى مسائل عروضية عند حديثه عن الضرورة الشعرية، وبما يظهر أنه قد أجاد هذا الفنَّ وأتقنه، فيما يعد مظهرًا من مظاهر التكامل الفكري عند إمام النحاة، فكثيرًا ما يذكر مصطلحات عروضية صرفة، على سبيل المثال يشير في مواضع من كتابه إلى أن الشاعر قد يخالف ما ثبت في القاعدة مضطرًّا؛ لأنه

---

(١) ينظر: العروض لابن جني ص٥٥، وعلم العروض والقافية لعبد العزيز عتيق ص٧.

لو اتبعها لانكسر وزن الشعر(١). وأذكر فيما يأتي بعض نصوص سيبويه التي توضح درايته بهذا العلم:

* ذكر سيبويه أنَّ الشاعر إذا اضطر أبدل حرف العلة من حرف صحيح، واستشهد ببيتين من الشعر، أحدهما- قول الشاعر:

ومَنهـــلٍ لَـــيسَ لَـــهُ حَـــوازِقُ ∴ ولِضَـــفادِي جمِّـــهِ نَقَـــانِقُ(٢)

وموضع الشاهد قوله: "ضفادي"، وأصله (ضفادع)، فأبدل الشاعر من العين وهي حرف صحيح متحرك حرفًا معتلًّا لا يقبل الحركة؛ لأنَّ الموضع هنا موضع وقف والياء تسكن في موضع الجر، فلا ينكسر معه الوزن، وقد بيَّن سيبويه سبب الضرورة التي دعت الشاعر إلى الخروج عن المألوف ليستقيم له وزن البيت بما يظهر معرفته بهذا العلم، قال: "وإنما أراد "ضفادع"، فلمَّا اضطر إلى أنْ يقف آخر الاسم كره أن يقف حرفًا لا يدخله الوقف في هذا الموضع، فأبدل مكانه حرفًا يوقَف في الجر والرفع"(٣).

والبيت الآخر الذي استشهد به- قول أبي كاهل اليشكري:

لَها أَشاريرُ مـــن لَحْـــمٍ تُتَمِّـــرُه ∴ من الثَّعالي ووخزٌ من أرانيهـــا(٤)

وفيه قال سيبويه: "الشاعر لما اضطر إلى الياء أبدلها مكان الباء، كما

---

(١) ينظر: الكتاب ٥٥٤/٣، ٤٣٩/٤.

(٢) من (الرجز المشطور)، قيل: مصنوع لخلف الأحمر، وهو من شواهد: الكتاب ٢٧٣/٢، وشرح أبيات الكتاب ٤٥/٢، وشرح شافية ابن الحاجب ٢١٢/٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٣٧٢/٥.

(٣) الكتاب ٢٧٤/٢. وينظر: شرح أبيات سيبويه ٢٤٥/٢.

(٤) من(البسيط)، ورد في: المفصل ص٥١٠، والممتع الكبير في التصريف ٢٤٥/١، وشرح تصريف المازني للثمانيني ص٢١٧.

يبدلها مكان الهمزة"[١]. وهذه العبارة على وجازتها توضح الفكر العروضي عند سيبويه.

ووجه الضرورة: أنَّ الشاعر أراد "الثعالبَ وأرانبَها" إلا أن وزن البيت كان ينكسر لو ذكرَ "الباءَ" في الثعالبِ؛ لأنَّ حرف الباء مما لا يسكن في الوصل، فأبدل مكانها الياء؛ لأنها تسكن حال الرفع والخفض، كما أنَّ القافية تفسدُ لو لم يبدل باء (أرانبها)؛ لأَنَّ رويَّهُ الياءُ. وهذه الضرورة ذكرها من ألف بعد سيبويه في الضرائر الشعرية، كالقزاز وابن عصفور وغيرهما[٢].

وقد ذكر سيبويه البيتين السابقين في باب (الترخيم في الأسماء)، وإن كانا من الإبدال؛ لئلا يتوهَّم أنهما من الترخيم –كما يرى بعضهم[٣]– وأن الياء زيدت كالعوض؛ لأنَّ المطرد في الترخيم ألا يعوض من الحرف المحذوف شيء؛ لأنَّ التمام منوي فيه، ولأنَّ الترخيم تخفيف، ولو عوض منه لرجع فيه إلى التثقيل[٤].

* ذكر سيبويه أنه يجوز حذف الياء والواو للثقل، أما الألف فإنها لا تحذف في منثور ولا منظوم إلا أن يضطر شاعر، قال: "لأن الفتح أخف عليهم والألف، فمن ثم لم تحذف الألف، إلا أن يضطر شاعرٌ فيشبهها بالياء؛ لأنَّها أختها، وهي قد تذهب مع التنوين"[٥].

---

(١) الكتاب ٢٧٣/٢. وينظر: الأصول في النحو ٤٦٨/٣. وقد علل الرماني جواز إبدال الياء من الباء في الضرورة بأن الباء من مخرج الواو التي هي أخت الواو. ينظر: شرح الرماني ص٣٣٦.

(٢) ينظر: ضرائر الشعر لابن عصفور ص٢٢٦.

(٣) ينظر: همع الهوامع ٧٥/٢.

(٤) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب للرضي ٤٤١/٤.

(٥) الكتاب ١٨٨/٤.

واستشهد على حذف الألف مع خفتها للضرورة بقول الشاعر:

وَقَبيـــلٌ مِـــنْ لُكَيْـــزٍ شَـــاهِدٌ ∴ رَهْطُ مَرْجُومٍ ورهْطُ ابنِ المُعَـــلْ[1]

وهو من (الرمل التام)، تفعيلاته: (فعلاتن/ فاعلاتن/ فاعلن* فاعلاتن/ فاعلاتن/فاعلن)، عروضه محذوفة وضربه كذلك محذوف، وكلمة (المعل) في القافية أصلها (المعلَّى) مقصورًا، وقد خفف الشاعر لامه وحذف الألف؛ ليستقيم له الوزن، ولو أتى به على الأصل لانكسر البيت، واختلفت معه القافية، وهذا هو وجه الضرورة.

وقال أبو علي الفارسي: "حذف الألف من (المعل) في القافية تشبيهًا بالياء ... فكما حذفت الياء من القوافي والفواصل، كذلك حذف هذا الألف ولم يكن ينبغي، لأنّ من يقول: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾[2] ويقول: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾[3] فلا يحذف، كما أن الذي يقول: هذا عمرو،... إلا أن (المعلى) في الضرورة لا يمتنع للتشبيه"[4]. وعدَّ الأعلم هذا الحذف من أقبح الضرورات؛ لأنَّ الألف لا تستثقل كما تستثقل الياء والواو؛ لأنَّ خروجها من الحلق مع النَّفس بغير كلفة،

---

(١) من (الرمل)، (لُكيز) هو: لكيز بن أقصى بن عبد القيس، وهذا البيت منسوب للبيد العامري في أكثر مصادره، ووجدت في ديوانه ص٩٠ قصيدة له على هذا الوزن والروي وليس منها هذا البيت، ومطلعها: (إنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيرُ نَفَلْ * وبإذْنِ اللّهِ رَيْثِي وعَجَلْ).

من شواهد: الكتاب ١٨٨/٤، وشرحه للسيرافي ٢٠٧/١، والخصائص ٢٩٥/٢، والممتع الكبير ص٣٩٥، وضرائر الشعر ص١٣٥، وشرح الكافية الشافية ١٩٨٤/٤.

(٢) من الآية (٦٤)، من سورة الكهف.

(٣) الآية (١)، من سورة الليل.

(٤) المسائل العسكريات ص١٠٠.

وكذلك الفتحة، لأنَّها من الألف[١].

على أنَّ بعضهم يرى أن هذا الحذف قليل ولا يختص بالضرورة[٢]، ولعل هذا هو الأولى؛ حيث قالت العرب: "يا أبتَ" يريدون (يا أبتا)، فحذفوا الألف في السعة؛ تخفيفًا.

* ثانيًا- في باب الإدغام، ذكر سيبويه أنَّ الإدغام يمتنع في القوافي المتحركة، ويلزمها حينئذٍ الردف[٣]، قال: "ولا يجوز في القوافي المحذوفة. وذلك أنَّ كلَّ شعرٍ حذفت من أتم بنائه حرفًا متحركًا أو زنة حرفٍ متحرك فلابدَّ فيه من حرف لينٍ للردف، نحو:

وما كُلُّ ذي لُبٍّ بمُؤْتِيكَ نُصْحَهُ ∴ وما كُلُّ مُـؤْتٍ نُصْحَهُ بِلَبِيبِ[٤]

فالياء التي بين الباءين ردفٌ"[٥].

واستظهر السيرافي من استشهاد سيبويه بهذا البيت أنَّه لم يجز في الضرب الثالث من الطويل، وما جرى مجراه مما يلزمه الردف على ظاهر هذا الكلام أن يكون ردفه واوًا مفتوحًا ما قبلها، أو ياء مفتوحًا ما قبلها[٦].

ومعنى قول السيرافي أنَّ البيت الذي ذكره سيبويه من (الطويل) عروضه مقبوضة وضربه محذوف، وهو من "الضرب الثالث" فإن بحر الطويل له ثلاثة أضرب: (مفاعلين) سالمٌ، وهو الضرب الأول، و(مفاعلن)

---

(١) في كتابه: تحصيل عين الذهب ص٥٦٤. وينظر: أمالي ابن الشجري ٢٩٣/٢.

(٢) ينظر: الممتع الكبير ص٣٩٥، وشرح تصريف المازني للثمانيني ص٤٠٦.

(٣) الردف: حرف مد يسبق الروي مباشرة.

(٤) من (الطويل)، أنشده سيبويه ولم يعزه لقائل، وهو من شواهد الحيوان للجاحظ ٣١٨/٥، والعقد الفريد ٢٩١/٦.

(٥) الكتاب ٤٤١/٤.

(٦) ينظر: شرح السيرافي ٤٠٢/٥.

مقبوض وهو الضرب الثاني، و(فعولن) محذوف معتمد وهو الضرب الثالث. ولابدَّ أن يعتمد، ومعنى الاعتماد: أنَّ جزأه السابع المتصل بالضرب حكمه أن يجيء مقبوضًا، غير سالم، كبيت أبي الأسود هذا؛ فإنَّ قوله: "حهو بـــ"، وزنه "فعولُ" مقبوض، وقوله: "لبيب" وزنه "فعولن" محذوف. ومعنى محذوف: أنه كان "مفاعلين"، فحذف منه "لن" وهو سبب، فبقي "مفاعي" فنقل إلى "فعولن".

* ومن المصطلحات العروضية التي ذكرها سيبويه في كتابه: (القافية[١]، الروي[٢]، الوصل[٣]، المعاقبة[٤]، الإقواء[٥]، الكف[٦] ويعني به حذف النون أو التنوين من اللفظ...).

هذا،، وقد ذكر عبد السلام هارون أنَّ الدمنهوري في حاشيته على متن الكافي عند حديثه عن (الردف) نسب لسيبويه كتابًا اسمه (القوافي)، قال الشيخ عبد السلام: "ثم يقول: وأجاز سيبويه في كتاب القوافي له استعمال مثل ذلك بغير ردف، قال: لقيام الوزن بالحرف الصحيح"[٧]، وسواء صحَّ هذا الخبر أم لم يصح فإن معرفة سيبويه بعلم العروض والقوافي ثابتة من خلال كثيرٍ من نصوصه في الكتاب والتي ذكرت جانبًا منها تؤكد معرفته بهذا العلم

---

(١) ينظر: الكتاب ٤/٢١٤،٢١٥، ٤/٤٤١.

(٢) ينظر: السابق ٤/٢٠٦، ٤/٢٠٩، ٤/٢١٠، ٤/٤٤٧.

(٣) ينظر: السابق ٣/١٩٩.

(٤) ينظر: السابق ٣/٣٦٢.

(٥) ينظر: السابق ٤/٢١٥.

(٦) ينظر: السابق ١/١٨٤، ٢/١٩٠، ٣/٢١٠.

(٧) كتاب كناشة النوادر لعبد السلام هارون ص٤٧، وللدمنهوري حاشية على متن الكافي لمحمد القنائي، سماها الإرشاد الشافي، (الحاشية الكبرى للدمنهوري على متن الكافي في العروض- المطبعة اليمنية بمصر المحروسة).

وتمكنه فيه.

وأختم هذا المبحث بشهادة فريد عصره –ابن جني– لسيبويه مشيدًا بمكانته العروضية، حين ينتصر له من الأخفش الذي استدرك على سيبويه ما ذكره في قول الشاعر:

كأنَّهـــا بعـــد كَـــلالِ الزَّاجِـــرِ ∴ ومَســـحِي مـــرٌّ عقـــابٍ كاسِـــرِ(١)

حيث استظهر الأخفش من كلام سيبويه في هذا البيت أنه يرى أن الشاعر أدغم الحاء في الهاء، بعد أن قلب الهاء حاء، فصار في ظاهر قوله ومسحّ، وهم يريدون (مسحه)(٢). ثم استدرك عليه بأن هذا ممَّا لا يجوز إدغامه، لأنَّ السين ساكنة، ولا يجمع بين ساكنين، وفنَّد ابن جني استدراك الأخفش هذا، ثمَّ ردَّه بأنَّه فهم كلام سيبويه على غير مراده وأنه أخذ بظاهر لفظه لا حقيقة معناه، ولما يترتب على هذا الفهم من كسر البيت وهو بعيد عن سيبويه الذي يعد ينبوع العروض، وهذا نصُّ ابن جني: "وليس ينبغي لمن قد نظر في هذا العلم أدنى نظر أن يظن سيبويه ممن يتوجه عليه هذا الغلط الفاحش، حتى يخرج فيه من خطأ الإعراب إلى كسر الوزن؛ لأنَّ هذا الشعر من مشطور الرجز، وتقطيع الجزء الذي فيه السين والحاء: "ومسحهي" مفاعلن، فالحاء: بإزاء عين مفاعلن، فهل يليق بسيبويه أن يكسر شعرًا، وهو

---

(١) من (الرجز)، من شواهد الكتاب ٤٥٠/٤، وشرح السيرافي ٤١٩/٥، وسر الصناعة ٧٢/١.

وقد ذكر ابن ولاد أن محمد بن يزيد المبرد خطَّأ سيبويه في هذا البيت كذلك، وانتصر له بوجهين: أحدهما– أن الهاء ليست من الكلمة وإنما هي كناية، والآخر– أن الشاعر أدغم على لغته استحسانًا، لا على أنه لازم في اللغات. ينظر: الانتصار لسيبويه على المبرد ص٢٦٩.

(٢) ينظر: الكتاب ٤٥٠/٤.

من ينبوع العروض، وبحبوحة[١] وزن التفعيل، وفي كتابه أماكن كثيرة تشهد بمعرفته بهذا العلم، واشتماله عليه، فكيف يجوز عليه الخطأ فيما يظهر ويبدو لمن يتساند إلى طبعه، فضلًا عن سيبويه في جلالة قدره"[٢].

* * *

(١) البحبوحة من كل شيء وسطه وخياره.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/٧٣.

الفصل الثاني

معرفة سيبويه بعلوم القرآن الكريم وأثره في نشأتها

أن يصنف كتاب سيبويه كتاب النحو والتصريف الأول، وأن يكون أساسًا لغيرهما من علوم العربية فهو مقبول لا غبار عليه، وقد قامت حوله بعض بحوث متفرقة تتناول بعض فروع اللغة غير النحو والتصريف، لكن أن يعدَّ الكتاب أساسًا لبعض علوم القرآن الكريم فربما يكون هذا محل استعجاب وموضع استغراب، إلا أن هذا هو الواقع وهو ما سوف تثبته مباحث هذا الفصل، فقد عكفت على دراسة أحكام التجويد والوقف والابتداء في القرآن الكريم ما يزيد على عام، وأدهشني ما أدركته من أنَّ جل أحكام التجويد والوقف والابتداء التي ذكرها المتخصصون كان سيبويه على دراية بها وأثبتها في مؤلفه، فقد تكلم عن المخارج والصفات وأحكام النون الساكنة والتنوين من إقلاب وإخفاء وإقلاب وإظهار، والعلاقة بين الحروف من تجانس وتقارب وتباعد، وغيرها كثير، كما فصل وأجاد في كيفية الوقف والابتداء، وأشار إلى أثر الإعراب في تغير الوقف مع التطبيق على نماذج من الكتاب العزيز، غير معرفته بالقراءات القرآنية وتوجيهاتها.

وعليه فقد جاء هذا الفصل في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول– التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية في كتاب سيبويه.

المبحث الثاني– مباحث أحكام التجويد عند سيبويه، وأثره في نشأته.

المبحث الثالث– معرفة سيبويه بالوقف والابتداء أنواعه وكيفيته.

***

المبحث الأول

التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية في كتاب سيبويه

لقد حظيت القراءات القرآنية في كتاب سيبويه بنصيب وافر من الاستشهاد واستنباط القواعد النحوية، حتَّى أحصى أحد الباحثين شواهد القراءات عند سيبويه، فبلغت(سبعةً وخمسين ومائة شاهد)[١]. ومن يتأمَّل طبيعة استشهاد سيبويه بالقراءات يدرك أنها كانت زاخرة في ذلك الوقت، لكنها لم تكن مصنفة من حيث التواتر والشذوذ، على النحو الذي أثبته علماء القراءات فيما بعد. كما يتضح من كتاب سيبويه وكلامه عن القراءات أنَّه كان يجل القراءات الصحيحة ويقدسها وينزلها منزلتها، من ذلك قولُه: "فأمَّا قوله -ﷻ-: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[٢]، فإنَّما هو على قوله: زيدًا ضربتُه، وهو عربيٌّ كثير. وقد قرأ بعضهم: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾[٣]، إلَّا أنَّ القراءة لا تُخالَفُ؛ لأنَّ القراءة السُّنَّةُ"[٤].

قرأ الجمهور بنصب (كُلَّ)[٥]، وربما يجتمعون على وجه والأصل غيره، وذكر سيبويه أنَّ نظير النصب هنا القراءة بنصب (ثمود) في قول الله -ﷻ-: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾، وهي قراءة شاذة[٦]، والجمهور فيها على

---

(١) ينظر: أسئلة سيبويه للخليل عن القراءات، بحث منشور بمجلة كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها، للدكتور/ محمود عفش ص٢٨٢.

(٢) الآية ٤٩، من سورة القمر.

(٣) الآية ١٧، من سورة فصلت.

(٤) الكتاب ١٤٨/١.

(٥) قرأ أبو السمال في الشواذ برفع (كل)، وقوَّاه ابن جني وفاقًا لسيبويه: "الرفع هنا أقوى من النصب، وإن كانت الجماعة على النصب؛ وذلك أنه من مواضع الابتداء، فهو كقولك: زيد ضربته، وهو مذهب صاحب الكتاب" ينظر: المحتسب ٣٠٠/٢.

(٦) قرأ بالنصب الحسن والأعمش وعبد الله بن أبي إسحاق. ينظر: معاني القرآن للفراء ١٤/٣.

الرفع؛ وهو الأجود عند سيبويه، وإنما كان الرفع أقوى؛ لأنَّ (أمَّا) مما يطلب الأسماء ولا يكون معها الفعل، وأمَّا جواز النصب فعلى إضمار فعل يفسره (فهديناهم)؛ تقديره: (مهما يكن من شيء فهدينا ثَمُود هديناهم)[1].

والشاهد فيما ذكرتُ أنَّه مع اعتبار سيبويه وجه الرفع هو الوجه الأقوى لغويًّا إلا أنه لما اجتمعت العامة على قراءته بالنصب في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾رأى عدم جواز مخالفة القراءة المجمع عليها وإن كان غيرها أعرب؛ لأنَّ قراءة الجمهور سنَّة لا تُخالَف. وهو مما يؤكد اهتمامه بالقراءات والأخذ بها وترجيحها على ما خالفها.

ومن أمثلة القراءات -أيضًا- في الكتاب قراءة (خالصة) بالرفع والنصب في قول الله عز وجل: ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[2]؛ حيث قرأ نافع وحده «خالصةٌ» بالرفع وقرأ الباقون بالنصب[3]، وقد استشهد سيبويه بالقراءتين الواردتين فيها على جواز الوجهين واستعمالهما في فصيح كلام العرب، قال: "ومثل قولك: "فيها عبد الله قائمًا"

---

(١) قال في الكتاب ٨١/١: "فإذا بنيتَ الفعلَ على الاسم قلتَ: زيدٌ ضربته، فلزمته الهاء. وإنما تريد بقولك مبني عليه الفعل أنَّه في موضع منطلقٍ إذا قلتَ: عبدُ الله منطلقٌ، فهو في موضع هذا الذي بني على الأول وارتَفع به، فإنَّما قلت عبدُ الله فنسبته له ثمَّ بنيتَ عليه الفعلَ ورفعته بالابتداء. ومثلُ ذلك قولُه جلَّ ثناؤه: "وأما ثمود فهديناهم"، وإنما حَسُنَ أن يُبْنَى الفعلُ على الاسم حيث كان مُعْمَلًا في المُضْمَرِ وشَغَلْتَه به، ولولا ذلك لم يحسن؛ لأنك لم تشغله بشيء. وإن شئت قلت: زيدًا ضربتُه، وإنَّما نصبهُ على إضمار فعلٍ هذا يفسره، كأنَّك قلتَ: ضربتُ زيدًا ضربتُه، إلَّا أنَّهم لا يُظهِرون هذا الفعلَ هنا للاستغناءِ بتفسيره. فالاسمُ ها هنا مبني على هذا المضمَرِ".

(٢) الآية ٣٢، من سورة الأعراف.

(٣) ينظر: السبعة لابن مجاهد ص٢٨٠، والمحرر الوجيز ٣٩٣/٢، والبحر المحيط ٤٢/٥.

"هو لك خالصًا"، و"هو لك خالصٌ"؛ كأنَّ قولك "هو لك" بمنزلة (أهبُه لك)، ثم قلت: "خالصًا". ومن قال: "فيها عبد الله قائم"، قال: "هو لك خالصٌ"، فيصير (خالص) مبنيًّا على (هو) كما كان (قائم) مبنيًّا على (عبد الله)، و(فيها) لَغوٌ، إلا أنك ذكرت فيها لتبين أين القيام، وكذلك لك إنما أردت أن تبين لمن الخالصُ.

وقد قُرئ هذا الحرف على وجهين: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً﴾ بالرفع والنصب"[1]. ومعنى الآية الكريمة: قُلْ يا محمد هِيَ كَائِنَةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِلْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ كَانَ يُشْرِكُهُمْ فِيهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنيا الكفَّار، وخالصة لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[2].

وتوجيه النصب – كما يفهم من نص سيبويه– على الحالية، وهو ما عبَّر عنه الفراء في معانيه بـــ(القطع)[3]، أي: مستقرة للذين آمنوا في حالة خلوص لهم، أمَّا توجيه الرفع فعلى الخبرية، يفهم من قول سيبويه: "فيصير (خالص) مبنيًّا على (هو) كما كان (قائم) مبنيًّا على (عبد الله)، و(فيها) لَغوٌ"، فقد اعتبر (فيها) لغوًا من حيث عدم تعلق الإعراب بها، و(قائم) هو الخبر، إلا أنَّ في الآية (للذين آمنوا) خبر لـــ(هي)، فيكون (خالصةٌ) بالرفع خبرًا ثانيًا. وهذا ما ذكرته كتب أعاريب القراءات القرآنية[4].

ومواضع استشهاد سيبويه بالقراءات القرآنية كثيرة في الكتاب يضيق المقام عن تفصيلها، وإنما أشرت إلى موضعين منها بما يظهر عنايته

---

(١) الكتاب ٢/٩١.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٥/٤٢.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/٣٧٧.

(٤) ينظر: معاني القراءات للأزهري١/٤٠٤، والمحرر الوجيز ٢/٣٩٣،٣٩٤، والبحر المحيط ٥/٤٢.

ودرايته بها، فهو أحيانًا يورد القراءات في الآية ليوجهها من لغات العرب، وأحيانًا يذكرها ليبرهن بها على فصاحة لغات وردت عن العرب. وهذا يؤكد موسوعية فكره وتنوع معارفه. ويتجلى ذلك -أيضًا- في انتشار أقواله وتوجيهاته هذه في كتب القراءات التي حرص أصحابها على نقلها والتدليل على صحتها، لتكون السمة الغالبة على أكثر المفسرين والمعربين بعد نقل أوجه الخلاف: "والصحيح ما ذهب إليه سيبويه"(١). وربما نجد تلك العبارة: "وأكثر القراء على ما ذهب إليه سيبويه"(٢). رحم الله إمام النحويين سيبويه وغفر له.

***

(١) ينظر: الحجة للقراء السبعة ٢/٧، و٣/٢٣٣، والبحر المحيط ١/١٨٠.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ١/٩٦.

المبحث الثاني

مباحث أحكام التجويد عند سيبويه، وأثره في نشأته

أمر الله –ﷻ– نبيَّه بتلاوة كتابه بطريقة مخصوصة، كما تلقاه بواسطة روح القدس، فقال –عز من قائل–: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ (١)، فأقرأه النبيُّ –ﷺ– أصحابه كما أُمر، وكانوا عربًا خلَّصًا فلم يجدوا أي صعوبة في تلاوته وتلقِّيه كما أُنزِل، من تحقيق مخارج حروفه وصفاتها اللازمة لها، وهو مما تميزت به لغة العرب قبل الوحي، أو ضبط صفاتها العارضة الناشئة عن مجاورة الحروف، كالإدغام والإقلاب والإخفاء وغيرها مما تميزت به لغة القرآن الكريم عن لغة العرب المعهودة عندهم. ولأنَّ المولى –ﷻ– هو من تكفل بحفظه– فقد هيَّأ له عبادًا فطناً ألهمهم بما يحقق الحفاظ عليه كما أنزل غضًّا طريًّا، فكان تجويد القرآن الكريم رواية ودراية، ويقصد بالأول السند الصوتي المتواتر عن النبي –ﷺ– وصحابته الغر الميامين، ويقصد بالثاني تدوين كيفية أدائه بدقة متناهية، ومن أوائل العلماء الذين بدأوا التأليف في مباحث علم التجويد إمام العربية وشيخها الأول سيبويه، ومن قبله أستاذه الخليل، وتوالت بعدهما جهود العلماء في تدوين كيفيته، ومن أهم من صنَّفوا فيه: أبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو عمرو الداني، وخاتمة المحققين أبو الخير شمس الدين محمد بن يوسف المعروف بابن الجزري.

ويعد علمُ التجويد دراية أهم علوم القرآن الكريم على الإطلاق، وعرِّف بأنَّه: "إخراج كل حرف من مَخرجه مع إعطائه حقه ومستحقه"، أو "هو علمٌ يبحث في الكلمات القرآنيَّة، من حيث إعطاء الحروف حقها من مخارجها والصفات اللازمة لها، ومستحقها من الأحكام التي تنشأ عن تلك الصفات"(٢). وهو ما جاء في المنظومة الجزريَّة:

---

(١) من الآية (٤) من سورة المزمل.

(٢) ينظر: تحفة الأجاويد في فن التجويد للشيخ حسن عبد العال الشريف، ص٣٤، الطبعة: الرابعة.

وَهُوَ: إِعْطَاءُ الْحُـرُوفِ حَقَّهَـا ∴ مِـنْ صِـفَةٍ لهـا وَمُسْـتَحَقَّهَا[١]

وذكر بعض المتأخرين الذين صنَّفوا في علم التجويد أنَّه علمٌ أصيلٌ مستقِلٌ بذاتِه، غير متوقف على غيره من العلوم، كـ(علم التفسير) -مثلاً- الذي يحتاج لعلوم العربية وأسباب النزول كعلوم خادمة ومقدمات لازمة له[٢]، والواقع أنَّ هذا العلم مرتبط بوشائج وثيقة بعلوم العربيَّة، منها استمداده وعليها معتمده، وفيما يأتي أشير إلى بعض مباحث التجويد التي كان لشيخ العربية السبق في بيانها وتجليتها، والتي أصبحت فيما بعد مباحث أساسيَّةً في هذا العلم، مرجعًا لعلماء التجويد المبرزين، وهي منثورة في كتاب سيبويه، من ذلك شرحه التفصيلي لمخارج الحروف وصفاتها[٣]، ومسائل الإدغام والإعلال والإبدال[٤] والإمالة[٥]، والغنة ومحلها[٦]، وغيرها.

---

(١) منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه لابن الجزري، تح/ د. أيمن رشدي سويد ص٣.

(٢) ينظر: تحفة الأجاويد في فن التجويد ص٣٤، حاشية ١. قال: "وأمَّا علمُ التجويد فلا يحتاج لغيره من العلوم كمقدمة لازمة لدراسته، فهو بذلك علم أصيل مستقل، وليس تابعًا".

(٣) وقد خصص له بابًا، بدأه بقوله: "هذا باب عدد الحروف العربية، ومخارجها، ومهموسها ومجهورها، وأحوال مجهورها ومهموسها، واختلافها." ينظر: الكتاب لسيبويه ٤٣١/٤.

(٤) في باب عنون له: "باب الإدغام في الحرفين" تحدث فيه سيبويه عن المتماثلين والمتجانسين والمتقاربين، وهو ما يعرف عند أهل التجويد بالعلاقة بين الحروف. ينظر: الكتاب ٤٣٧/٤.

(٥) وكان للإمالة النصيب الأكبر في كتاب سيبويه، فقد ذكره في عدة أبواب، منها: باب ما يمتنع من الإمالة، وباب ما تمال فيه الألفات، وباب ما أميل على غير قياس، وباب الراء، تحدث فيها عن مواضع إمالة الألف والراء عند القراء، وأسباب الإمالة. ينظر: الكتاب ١١٧/٤، و١٢٧/٤ وما بعدها، و١٣٦/٤.

(٦) ينظر: الكتاب ٤٥٢/٤ وما بعدها.

وسوف أوضح في الصفحات الآتية بعض مسائل التجويد في فكر سيبويه، وأحلت في بعضها على مواضعها من الكتاب؛ لضيق المقام عن استقصاء جميعها، وهي:

أولاً- باب مخارج الحروف، والخلاف فيها:

مخارجُ الحروفِ وصفاتُها من صميمِ علم التَّجويدِ، وإنما نُقلتْ عن علماء النَّحوِ واللُّغةِ لسبقِهم في التدوينِ، فمعروف أنَّهما سابقانِ لعلمِ القراءةِ والتجويدِ من حيثُ التأليف(١).

وإنَّ آخر ما استقر عليه الأمر في عدد مخارج حروف العربية هو منهج خاتمة المحققين الإمام الجليل شمس الدين أبي الخير ابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، وقد عدَّها سبعة عشر مخرجًا خاصًّا، وإليها أشار في منظومته بقوله:

مَخَارِجُ الحُرُوفِ سبعةَ عشَرْ ∴ علَى الَّذي يَخْتَارُه مَنِ اختبر

... إلى آخر الأبيات(٢).

أمَّا سيبويه فقد قدَّم -قبل ابن الجزري بعقود- في كتابه وصفًا دقيقًا للمخارج والصفات- لا يختلف كثيرًا عما انتهى إليه ابن الجزري؛ وكان قد خصص لهما بابًا، افتتحه قائلًا: "هذا باب عدد الحروف العربية، ومخارجها، ومهموسها ومجهورها، وأحوال مجهورها ومهموسها، واختلافها"(٣). ذكر فيه أنَّ مخارج الحروف ستة عشر مخرجًا، ويعدُّ هذا الحصر أول تفصيل دقيق

---

(١) ينظر: أنواع التَّصنيف المتعلِّقة بتَفسير القُرآن الكريم، لـ/ د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، ص٢١،٢٢.

(٢) ينظر: منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه لابن الجزري، تح/ د. أيمن رشدي سويد ص١.

(٣) الكتاب ٤/٤٣٣.

لمخارج الحرف، كما يعد شاهدًا على فكر متكامل وشخصية علميَّة موسوعية.

قال سيبويه: "ولحروف العربية ستة عشر مخرجًا. فللحلق منها ثلاثةٌ. فأقصاها مخرجًا: الهمزة والهاء والألف. ومن أوسط الحلق: مخرج العين والحاء. وأدناها مخرجًا من الفم: الغين والخاء. ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف. ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلًا ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف. ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء. ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد. ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج النون. ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلًا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء. ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء، والدال، والتاء. ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي، والسين، والصاد. ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء، والذال، والثاء. ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء. ومما بين الشفتين مخرج الباء، والميم، والواو"(١).

ويلاحظ أنَّ ما ذكره سيبويه في مخارج الحروف يتفق إلى حدٍّ بعيدٍ مع منهج ابن الجزري الذي ذكره في منظومته، والذي عليه التحقيق، إلَّا أنَّ سيبويه أسقط منها مخرج الجوف، الذي هو محل خروج حروف المدِّ الثلاثة (الواو المديَّة، والياء المديَّة، والألف المديَّة) فجعل مخرج الألف من أقصى الحلق، والواو والياء من مخرج المتحركتين، ووافقه الشاطبي(٢).

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٢) ينظر: شرح متن طيبة النشر لابن الجزري ١/٢٧.

*** حقيقة ما نُسِبَ إلى الخليل في عدِّ مخارج الحروف:**

أمَّا الخليل بن أحمد الذي تذوق الحروف وكان أول من تكلَّم في المخارج في معجمه العين- فقد اشتهر النقل عنه في أكثر كتب التجويد أنَّه عدَّها سبعة عشر(١)، وأَن ابن الجزري تابع له في ذلك، وذكر السيوطي في الهمع أنه يرى أنها ستة عشر مخرجًا كمذهب سيبويه(٢).

والحق أنه ليس في كتاب العين للخليل إشارة من قريب أو بعيد إلى هذا الذي نُسِب إليه، بل ما جاء في كتابه ينص صراحة على أنه عدَّها عشرة، وقد سماها (أحيازًا ومدارج)، قال في العين: "في العربية تسعة وعشرونَ حَرْفًا: منها خمسة وعشرونَ حَرْفًا صِحَاحًا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جُوف وهي: الواو والياء والألف اللَّينَة والهمزة، وسُمِّيَتْ جوفًا؛ لأنَّها تَخْرُجُ من الجوف فلا تَقَعُ في مدرجة من مدارِج اللِّسان، ولا من مدارِج الحَلْق، ولا من مدارِج اللهاة، إنَّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حَيز تُنسب إليه إلا الجَوْفَ"(٣).

ولمَّا فصَّلها جعل العين والحاء والهاء في حيز واحد، والخاء والغين في حيِّز، والقاف والكاف في حيز، والجيم والشين والضَّاد في حيز، والصاد والسين والزاي في حيز، والطاء والدال والتاء في حيز، والظاء والذال والثاء في حيز، والراء واللام والنون في حيز، والفاء والباء والميم في حيز، والألف والواو والياء في حيز(٤)، فهذه عشرة مخارج عدها الخليل للحروف سماها أحيازًا.

---

(١) ينظر: شرح متن طيِّبة النشر للنويري ٢٢٧/١.

(٢) ينظر: همع الهوامع ٤٩٠/٣.

(٣) العين ٥٧/١.

(٤) العين ٥٨،٥٧/١.

ويستفاد مما سبق أنَّ الخليل جعل الهمزة تابعة لحروف العلة في كونها تخرج من الجوف، وهذا خلاف ما استقرت عليه مذاهب المحققين من أنها تخرج من أقصى الحلق، كما أنه عدها عشرة فقط لا سبعة عشر، وليراجع كلامه في العين(١).

وقد صحَّح ابن جنِّي مذهب سيبويه، فقال بعد أن رتَّب الحروف -حسب مخارجها-: "فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها، وهو الصحيح، فأما ترتيبها في كتاب العين ففيه خطل واضطراب، ومخالفة لما قدمناه آنفًا، مما رتبه سيبويه، وتلاه أصحابه عليه، وهو الصواب الذي يشهد التأمل له بصحته"(٢).

وبهذا يتضح أنَّ مذهب سيبويه هو المذهب الذي اعتمده ابن الجزري والذي انتهى إليه الأمر، مع زيادة مخرج الجوف الذي اكتسبه من عبارة الخليل، وهذا هو الراجح؛ فإنَّ مخرج حروف المدِّ تقديري لا تحقيقي، بمعنى أنَّ هذه الحروف في نطقها لا تعتمد على موضع محدد تخرج منه كبقية الأحرف، وإنما تخرج من الهواء الكائن في الفم والحلق، وليس لها حيِّزٌ تنسب إليه إلا الجوف -على حدِّ تعبير الخليل رحمه الله-.

ثانيًا- الإمالة وأسبابها: قرأ بعض القراء بالإمالة في بعض الألفاظ القرآنية، وفقًا لبعض اللهجات العربية، وكما رووها عن النبي -ﷺ- ومن أشهر القراء الذين أمالوا حمزة الزيات، وأمال حفص عن عاصم لفظ (مجراها) فقط في سورة هود، وللإمالة أسباب أشار إليها بعض من صنفوا في القراءات القرآنية، وكان سيبويه قد سبق بتوضيح هذه الأسباب وزاد عليها، قال صاحب الإقناع -بعد أن ذكر الأسباب الموجبة للإمالة-: "وهذه الأسباب منفكَّة من كلام سيبويه، وأخبرنا أبي أن سيبويه زاد ثلاثة أسباب

---

(١) السابق ١/٥٧،٥٨.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/٥٩.

شاذة، وهي إمالة الألف المشبهة بالألف المنقلبة، والإمالة للفرق بين الاسم والحرف، والإمالة لكثرة الاستعمال"(١).

ثالثًا- المدُّ وتباين مذاهب القراء فيه: يقصد بالمد إطالة زمن الصوت بأحد حروف المد الثلاثة (الواو والياء والألف)، قال سيبويه: "وحروف اللين هي حروف المد التي يمد بها الصوت، وتلك الحروف: الألف، والواو، والياء"(٢). والمدُّ تباينت فيه القرأة من حيث إثباته ومقداره، ولا يضبط إلا بالمشافهة، وقد نصَّ عليه سيبويه في قوله: "هذا باب الإشباع في الجر والرفع وغير الإشباع، والحركة كما هي، فأما الذين يشبعون فيمططون، وعلامتها واو وياء، وهذا تحكمه لك المشافهة، وذلك قولك: يضربها، ومن مأمنك"(٣)، وقد فطن لهذا بعض من صنفوا في علوم القرآن الكريم، فقال صاحب الإقناع بعد أن ذكر أحكام المدِّ: "وهذا هو الإشباع الذي نص عليه سيبويه"(٤).

إلى غير ذلك من المسائل التي نص عليها سيبويه، مفصلًا وموجهًا إيَّاها من لغة العرب، والتي صارت فيما بعد مباحث مهمة في علم التجويد والقراءات، كصفات الحروف، والعلاقة بين الحروف وما ينشأ من تجاورها من أحكام، فالحروف تتأثر بما يجاورها والناتج يكون تفخيمًا أو ترقيقًا أو إظهارًا أو إدغامًا(٥) أو إقلابًا(٦)، أو غير ذلك... وقد أشار سيبويه إلى هذه

---

(١) الإقناع في القراءات السبع ص١١٥.

(٢) الكتاب ٤٢٦/٣.

(٣) الكتاب ٢٠٢/٤.

(٤) الإقناع في القراءات السبع ص٢٧٥.

(٥) الكتاب ٤٥٢/٤، ٤٥٣، و ٤٥٨/٤.

(٦) ينظر: الكتاب ٤٥٣/٤. وفيه قوله: "وتقلب النون مع الباء ميمًا لأنها من موضع تعتل فيه النون".

العلاقات[1] وما ينشأ عنها من أحكام، يتعين تطبيقها عمليًّا عند تلاوة آي الذكر الحكيم؛ ووصف هذه العلاقات، وما ينشأ عنها من أحكام وصفًا دقيقًا، ليُعد بهذا سيبويه من أوائل العلماء الذين صنَّفوا في علم التجويد وأحكام القرآن الكريم.

* * *

(١) العلاقات بين الحروف تنحصر في (التماثل، والتجانس، والتقارب، والتباعد) وكل منها تبنى عليه أحكام، قد تكون إدغامًا أو إخفاءً أو إقلابًا أو إظهارًا، حسب علاقة الحرف مع مجاوره في الكلمة تقاربًا أو تباعدًا في المخرج أو في الصفة. على ما فصلته كتب التجويد.

المبحث الثالث

معرفة سيبويه بالوقف والابتداء أنواعه وكيفيته

(الوقف والابتداء) من أهم علوم القرآن الكريم، ومن ثم اعتنى به وبتعلُّمه والعمل به المتقدمون والمتأخرون من أئمتنا، ومنهم من أفردوه بالتصنيف، كأبي بكر بن الأنباري في كتابه: (الإيضاح في الوقف والابتداء)، والحافظ أبي عمرو الداني في كتابه: (المكتفى في الوقف والابتدا)، وكذلك الإمام أبو جعفر النحاس والحافظ ابن الجزري وابنه العلامة: الشيخ أحمد المعروف بابن الناظم وشيخ الإسلام أبو يحيى زكريا الأنصاري وخلق غير هؤلاء رحمهم الله أجمعين، ونفعنا بعلومهم. وهو من أشرف وأجل العلوم؛ لشرف موضوعه الذي هو كيفية النطق بالآيات القرآنية من حيث الوقف والابتداء بما يحسن معه المعنى ويستقيم، قال الهذلي: "الوقف حلية التلاوة، وزينة القارئ، وبلاغ التالي، وفهم للمستمع، وفخر للعالم. وبه يعرف الفرق بين المعنيين المختلفين، والنقيضين المتباينين، والحكمين المتغايرين"(١)، ولا شكَّ أن للنحو صلةً كبيرةً بعلم الوقف والابتداء، إذ يتوقف نوعُ الوقف على اللفظة القرآنية في الغالب على حكمها الإعرابي. ومدار الكلام على هذا الباب ينحصر بعد تعريفه وأنواعه في قسمين:

أحدهما- ما يوقف به على أواخر الكلام، كالروم والإشمام وغيرهما، والآخر- ما يوقف عليه ويقصد به نوع الوقف الاختياري للقارئ، ويشمل: التام والكافي والحسن، والقبيح.

والواقع أن كتاب سيبويه اشتمل على مباحث من هذا العلم -أيضًا-، فذكر في كتابه أوجه الوقف كالوقف بالروم والإشمام والسكون المحض والتضعيف، كما أشار إلى اختلاف الإعراب وما يترتب عليه من جواز الوقف أو عدمه. ومن ثمَّ يأتي الحديث في هذا المبحث في مطلبين: أحدهما- أثر الإعراب في الوقف والابتداء، والثاني- كيفية الوقف على أواخر الكلم.

---

(١) ينظر: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ٣٦٧/١.

المطلب الأول

أثر تغاير الإعراب في حكم الوقف في القرآن الكريم

قرئ (أنَّها) بكسر الهمزة وفتحها في قول الله –تعالى–: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1]، والكسر قراءة ابن كثير المكي، وأبي عمرو البصري، وشعبة عن عاصم، ويعقوب، وخلف العاشر، والفتح قراءة الباقين[2]، وقد ذكر سيبويه القراءتين في الآية الكريمة ونقل عن شيخه الخليل توجيههما، وما يترتب عليهما من محلٍّ تمام الوقف وصحة الابتداء، قال: "وسألته عن قوله –ﷻ–: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ما منعها أن تكون كقولك: ما يدريك أنه لا يفعل؟ فقال: لا يحسن ذا في ذا الموضع، إنَّما قال: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾، ثم ابتدأ فأوجب فقال: أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. ولو قال: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ كان ذلك عذرًا لهم. وأهل المدينة يقولون (أَنَّهَا). فقال الخليل: هي بمنزلة قول العرب: ائت السُّوق أنك تشتري لنا شيئًا، أي: لعلَّك، فكأنه قال: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون"[3].

ويفهم من عبارة سيبويه التي نقلها عن شيخه: (إنَّما قال: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾، ثم ابتدأ فأوجب فقال: ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أنَّه يبتدأ بـ (إِنَّهَا) على الاستئناف، ويكون الوقف قبله وقفًا كافيًا؛ هذا على قراءة (إِنَّهَا) بالكسر؛ حيث يكون الكلام تمَّ قبلها من جهة الإعراب، فلم يتعلق بها لفظًا، لكن يبقى مع ذلك التعلق المعنوي؛ وعلامته الضمير الرابط في (إِنَّهَا). وقد عرَّف

---

(١) من الآية (١٠٩) من سورة الأنعام.

(٢) تنظر القراءات الواردة في الآية الكريمة في: السبعة لابن مجاهد ٢٦٥، والمحرر الوجيز ٣٣٣/٢، والبحر المحيط ٦١٥/٤.

(٣) الكتاب ١٢٣/٣.

علماء الوقف والابتداء الوقف الكافي بأنَّه: "الذي يحسن الوقف عليه أيضًا والابتداء بما بعده، حيث انفصل مما بعده في اللفظ، وله به تعلق في المعنى بوجه"(١). واحتج له الداني بما في صحيح البخاري وغيره عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأْ عَلَيَّ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾(٢)، قَالَ: «حَسْبُكَ الآنَ» فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ"(٣).

أمَّا قراءة (أَنَّهَآ) بالفتح فقد نقل سيبويه عن شيخه الخليل أنها تكون بمعنى (لعلَّ)، وفي هذه القراءة توجيهات أخرى للعلماء، قال السمين الحلبي: "وأمَّا قراءة الفتح فقد وجَّهها الناس على ستة أوجه، أظهرها: أنها بمعنى لعلَّ"(٤)، قالوا: "ويدل على ذلك أنها في مصحف أُبَيّ وقراءته «وما أدراكم لعلَّها إذا جاءت لا يؤمنون»، ونُقِلَ عنه: «وَمَا يُشْعِرُكُمْ لعلها إِذَا جَآءَتْ»"(٥).

---

(١) ينظر: المكتفى في الوقف والابتدا ص١٠، والتمهيد في علم التجويد لابن الجزري ص١٧١.

(٢) من الآية (٤١) من سورة النساء.

(٣) صحيح البخاري ٩٦/٦، برقم (٥٠٥٠).

(٤) والأوجه الخمسة الأخرى هي: ١- أن تكون «لا» مزيدةً، وهذا رأيُ الفراء وشيخه، ٢- أن الفتح على تقديرِ لامِ العلة، والتقدير: إنما الآيات التي يقترحونها عند الله لأنها إذا جاءت لا يؤمنون، ٣- أنَّ في الكلام حذفَ معطوفٍ على ما تقدَّم، المعنى: وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون أو يؤمنون، فحذف هذا لعلم السامع، ٤- أنَّ «لا» غير مزيدة، وليس في الكلام حَذْفٌ بل المعنى: وما يدريكم انتفاء إيمانهم، ٥- أنَّ «ما» حرف نفي، يعني أنه نَفَى شعورَهم بذلك، وعلى هذا فيُطْلَبُ لـــ «يُشْعركم» فاعلٌ. ينظر: الدر المصون ١٠٥/٥،١٠٦.

(٥) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش ٥٥٧/٤، والدر المصون ١٠٣/٥.

وهو التوجيه الذي رجحه الزجاج، قال فيه: "أقوى وأجودُ في العربية"(١)، واختاره الأزهري(٢)، واستدلَّ الفارسيُّ على صحة توجيه الخليل وجودته في المعنى: أنه قد جاء في التنزيل (لعل) بعد العلم، وذلك قوله: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴾(٣)، ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾(٤)، فكما جاء (لعلَّ) بعد العلم، كذلك يكون (أنَّها إذا جاءت) بمنزلة: (لعلَّها إذا جاءت)(٥).

وعلى هذه القراءة بفتح الهمزة يكون الكلام قد تعلق بما قبله لفظًا ومعنى، وعليه لا يوقف على ما قبل (أنها)، بل يكون الكلام على الاتصال، وهذا الذي ذكره سيبويه في كتابه هو نفسه ما ذكره علماء الوقف والابتداء بعده، قال أبو عمرو الداني في (المكتفى) موضحًا اختلاف الوقف في الآية لاختلاف الإعراب: "ومن قرأ **(إِنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ)** بكسر الهمزة وقف على **(وَمَا يُشْعِرُكُمْ)** وهو تام. والتقدير: وما يشعركم إيمانكم، ثم ابتدأ فأوجب فقال: (إنَّها) فذاك منقطع مما قبله. ومن قرأ (أنَّها) بفتح الهمزة لم يقف على (يشعركم) سواء قدرت (أنَّها) بـــ(لعلها) أو قدرت زيادة (لا) فيكون التقدير: وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون. والمعنى على هذا: أنها لو جاءت لم يؤمنوا، فهي متعلقة بما قبلها في الوجهين فلا تقطع منه"(٦). وقد أجاز ابن الأنباري الوقف على ما قبلها والابتداء بها إذا قدرت بمعنى (لعلَّها)؛ لأنَّ فيها معنى الإيجاب(٧).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢/٢٨٣.

(٢) ينظر: معاني القراءات للأزهري ١/٣٧٩.

(٣) الآية (٣) من سورة عبس.

(٤) من الآية (١٧) من سورة الشورى.

(٥) ينظر: الحجة للقراء السبعة ٣/٣٨٠.

(٦) المكتفى في الوقف والابتدا ص٧٠. وينظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه ص١٤٧.

(٧) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء ٢/٦٤٢.

المطلب الثاني

كيفية الوقف على أواخر الكلم

الوقف على أواخر الكلمات القرآنية من أهم ما تناوله علماء الوقف والابتداء وفصلوا فيه القول؛ وللوقف كيفيات متنوعة، وقبل أن تكون هذه الكيفيات تابعةً للرواية فهي نابعةٌ من لهجات العرب، وهذا يفسر تفصيل سيبويه أحوال أواخر الكلمات الموقوف عليها، حيث يعدُّ هذا الموضوع من الأبواب المشتركة بين النحويين وعلماء الوقف والابتداء، إلا أنَّ علماء الوقف بمعرفته أدرى وهم ببيانه أعنى؛ لأنَّه يتعلق بكيفية الوقف على الكلم القرآني، أمَّا علماء النحو فقد أشار إليه بعضهم باعتبارها لهجات للعرب واردة عنهم في الوقف على أواخر الكلم، وأغفله آخرون، بل منهم من لا يعرفه، حتى قال السيرافي: "وبعض النحويين لا يعرف الإشمام الذي ذكره سيبويه، ولا يفرق بين الإشمام والروم"(١). أمَّا سيبويه فقد كان من أوائل العلماء الذين تكلموا فيه، حتى قبل علماء الوقف والابتداء أنفسهم، فهم عنه ناقلون ومن معين معارفه ناهلون، وقد خصص سيبويه له في كتابه بابًا مستقلًّا سماه: (باب الوقف في آخر الكلم المتحركة في الوصل التي لا تلحقها زيادةٌ في الوقف)، وسأكتفي مما ذكره سيبويه في هذا الباب بالإشارة إلى حالة واحدة من حالات الوقف التي ذكرها، وهي الوقف على المرفوع والمضموم، وكيفياته، موضِّحةً من خلاله أنواع الوقف الجائزة فيهما كما ذكر علماء الوقف والابتداء، وكيف سبقهم إلى بيانه صاحب الكتاب.

قال سيبويه في مستهل باب الوقف: "فأما المرفوع والمضموم فإنه يوقف عنده على أربعة أوجه: بالإشمام، وبغير الإشمام كما تقف عند المجزوم والساكن، وبأن تروم التحريك، وبالتضعيف"(٢). ثمَّ ذكر توجيه كل كيفية من

---

(١) شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٤٠/٥، وينظر: شرح المفصل لابن يعيش ٢٠٩/٥.

(٢) الكتاب ١٦٨/٤.

هذه الأوجه الجائزة عند من وقفوا به، فقال: "فأما الذين أشموا فأرادوا أن يفرقوا بين ما يلزمه التحريك في الوصل وبين ما يلزمه الإسكان على كل حال، وأمَّا الذين لم يشموا فقد علموا أنهم لا يقفون أبدًا إلا عند حرف ساكن، فلما سكن في الوقف جعلوه بمنزلة ما يسكن على كل حال؛ لأنَّه وافقه في هذا الموضع، وأما الذين راموا الحركة فإنهم دعاهم إلى ذلك الحرص على أن يخرجوها من حال ما لزمه إسكانٌ على كل حال، وأن يعلموا أن حالها عندهم ليس كحال ما سكن على كل حال. وذلك أراد الذين أشموا؛ إلا أن هؤلاء أشد توكيدًا، وأما الذين ضاعفوا فهم أشد توكيدًا؛ أرادوا أن يجيئوا بحرفٍ لا يكون الذي بعده إلا متحركًا؛ لأنَّه لا يلتقي ساكنان. فهؤلاء أشد مبالغةً وأجمع؛ لأنَّه لو لم تشم كنت قد أعلمت أنها متحركة في غير الوقف"(١).

تحليل نصِّ سيبويه: في النص السابق يوضح سيبويه أوجه الوقف على المرفوع والمضموم، والفرق بينهما أن الأول من ألقاب الإعراب والثاني من ألقاب البناء، فذكر أن أوجه الوقف على المرفوع الذي هو من حركات الإعراب والمضموم الذي هو من حركات البناء أربعة، وهي: (السكون المحض، والروم، والإشمام، والتضعيف)، وهاك بيانها –بإيجاز–:

١- السكون المحض وعبر سيبويه عنه بقوله: "وبغير الإشمام كما تقف عند المجزوم والساكن"، ويقصد به: تفريغ الحرف من الحركات الثلاث، وهو الأصل في الوقف، لأنَّ الوقف للقارئ محل الاستراحة، والسكون أبلغ في تحصيل الراحة، وكما اختص الابتداء بالحركة اختص الوقف بالسكون، وهو الذي عليه لغة أكثر العرب وكثير من القراء(٢). قال فيه الإمام الشاطبي في منظومته:

---

(١) الكتاب ١٦٨/٤.

(٢) ينظر: شرح طيبة النشر للنويري ٤٤/٢.

والِاسْكَانُ أصْلُ الوَقْفِ وهْوَ اشْتِقَاقُه ∴ مِنَ الوَقْفِ عَنْ تَحْرِيكِ حَرْفٍ تَعَزَّلَا[١]

٢- الإشمام: وهو ضم الشفتين بعد تسكين الحرف[٢]، ولا يكون إلا فيما حركته الضمة، قال أبو عمرو الداني: وأما حَقِيقَة الإشمام فَهُوَ ضمك شفتيك بعد سُكُون الْحَرْف أصلًا وَلَا يدْرك معرفَة ذَلك الأعمى؛ لأنَّه لرؤية الْعين لَا غير إذ هو إيماء بالعضو الى الْحَرَكَة[٣]، وقال فيه الإمام الشاطبي في منظومته:

والِاشمامُ إطباقُ الشِّفاهِ بُعَيْدَ مــا ∴ يُسَكَّنُ لا صَوْتٌ هناكَ فيَصْــحَلا[٤]

٣- الروم: عند القراء النطق ببعض الحركة[٥]. وعند النحاة النطق بالحركة بصوت خفي[٦]، وهو الذي ذكره الشاطبي -رحمه الله تعالى- بقوله:

ورَوْمُكَ إسْماعُ المُحَــرَّكِ واقِفًــا ∴ بِصَوْتٍ خَفِــيٍّ كُــلَّ دانٍ تَنَوَّلَــا[٧]

ولا بأس بالجمع بين التعريفين، فيكون الروم بمعنى النطق ببعض الحركة بصوت خفي يسمعه القريب دون البعيد، وهو ما يفهم من تعريف الإمام الداني: "فأمَّا حَقِيقَة الرَّوم فَهُوَ تضعيفك الصَّوْت بالحركة حَتَّى يذهب بذلك مُعظم صَوتهَا فَتسمع لَهَا صَوتًا خفِيًّا يُدْرِكهُ الأعمى بحاسة سَمعه"[٨].

---

(١) متن الشاطبيَّة المسمى حرز الأماني ووجه التهاني للشاطبي ص٣٠.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١٧٤/٤.

(٣) التيسير في القراءات السبع ص٥٨.

(٤) متن الشاطبية المسمى: حرز الأماني ووجه التهاني ص٣٠. ومعنى (فيصحلا) إذا كانت فيه بحوحة لا يرتفع الصوت معها، يقال: صحل صوته بكسر الحاء يصحل بفتحها: إذا صار أبحَّ، فكأنه شبه إضعاف الصوت في الروم بذلك.

(٥) ينظر: شرح طيبة النشر لابن الجزري ص١٤٢.

(٦) ينظر: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ٥٢٩٤/١٠، وشرح ابن عقيل ١٧٤/٤.

(٧) الشاطبية ص٣٠.

(٨) التيسير ص٥٨.

٤- التَّضعيف: ويقصد به تضعيف الحرف الموقوف عليه من غير حركة[١]، نحو: "جاء خالدّ"، وهو مشروط[٢]، وجاء في شرح شافية ابن الحاجب أنَّ الوقف بالتضعيف قليل؛ لأنَّه مخالف للقياس لمجيء التضعيف في الموضع الذي يقصد فيه التخفيف[٣]، حتى إنه لم يؤثر عن أحد من القراء، سوى ما نقله المرادي في توضيح المقاصد[٤] أنه لم يؤثر إلا عن عاصم في الوقف على ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾[٥] في سورة القمر بالتشديد، ولا أعلم أحدًا ممن روى عن عاصم قرأه بالتشديد، غير أن الإمام النويري في شرح الطيبة نقله عن ابن عامر في إحدى الروايات عنه[٦]. وقد جمع ابن مالك في منظومته الألفية أنواع الوقف التي ذكرها سيبويه في قوله:

وغيرَ "ها التأنيثِ" مــن مُحــرَّكِ ∴ سَــكِّنهُ، أو قِــف رائــم التحــركِ

أو أشمِمِ الضمةَ، أو قِف مُضعِفَا ∴ ما ليس همزًا أو عليلًا إن قَفَــا[٧]

* ولم يكتف سيبويه بذكر أوجه الوقف على المرفوع والمضموم، وإنما علل لها بدقة، فعلل لوجه الوقف بالسكون المحض بأنَّه الأصل في الوقف إذ لا يوقف إلا على ساكن، أمَّا الإشمام فهو للإشارة بضم الشفتين تفريقًا بين

---

(١) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب لركن الدين الاستراباذي ٥٦٠/١.

(٢) ذكر الحملاوي في كتابه شذا العرف (ص١٥٩) أن التضعيف لغة سعدية، ونقل شروطه: ألا يكون الموقوف عليه همزة، أو حرف علة، وأن يقفوَ محرَّكًا، وهذه الشروط فصلها سيبويه في الكتاب ١٧١/٤.

(٣) شرح شافية ابن الحاجب لركن الدين الاستراباذي ٥٥٩/١.

(٤) ينظر قول المرادي في توضيح المقاصد ١٤٧٨/٣.

(٥) من الآية (٥٣) من سورة القمر.

(٦) شرح طيبة النشر للنويري ٥٦/٢.

(٧) الألفية ص٣٦٩.

الساكن أصلًا وما كان محركًا بالضم وصلًا، وأما الوقف بالروم الذي هو جزء الحركة فهو آكد مما قبله في بيان أصل التحريك حال الوصل في الحرف الموقوف عليه؛ لأنَّ الأول يختص بالبصير، أما الثاني فيدركه البصير والضرير؛ لاعتماده على جزء الحركة وهو صوت، وأمَّا الذين ضاعفوا فهو أشد توكيدًا من سابقَيه، وإن كان قليلًا في الاستعمال(١). قال السيرافي: "اعلم أنَّ القياس في الوقف أن يكون على سكون فقط، وأكثر العرب يقف كذلك وهو القياس. ومنهم من إذا وقف أتى في الوقف بما يدل به على تحريك الكلمة في الوصل، والعرب في الإتيان بذلك على مراتب بعضها أوكد من بعض..."(٢).

* وبعد هذا البيان أشير إلى أن هذه الأوجه المختلفة للوقف على أواخر الكلم التي فصَّلها علماء الوقف والابتداء إنما مرجعهم في بيانها هو كتاب سيبويه، ومما يدلُّ على صحة ذلك كلام الإمام الداني –وهو من أوائل العلماء الذي صنفوا في هذا العلم– فهو كثيرًا ما كان يصرح بالنقل عن سيبويه، من ذلك قوله في الروم: "فأمَّا حقيقة الرَّوم على مذهب سيبويه وأصحابه، فهو إضعافك الصوت بالحركة حتى يذهب بالتضعيف معظم صوتها فيسمع لها صوتًا خفيًّا يدركه الأعمى بحاسَّة سمعه، فلا يظهر لذلك الإشباع، وهو يستعمل في الحركات الثلاث في النصب والفتح والخفض والكسر والرفع والضمِّ. قال سيبويه: وعلامته خط بين يديّ الحرف"(٣)، حتى عندما أراد توجيه هذه الأوجه نقل عبارة الكتاب بنصِّها، قال: "وأما الذين راموا الحركة فإنهم دعاهم إلى ذلك الحرص على أن يخرجوها من حال ما لزمه إسكانٌ

---

(١) الكتاب ١٦٨/٤.

(٢) شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٤٠/٥.

(٣) جامع البيان في القراءات السبع ٨٢٩/٢.

على كل حال..."[1].

ولتطبيق أوجه الوقف في المرفوع التي ذكرها سيبويه ومن بعده علماء الوقف والابتداء- أذكر مثالًا من القرآن، قول الله -ﷻ-: ﴿ **فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ** ﴾[2]، في الوقف على لفظ (السماءُ) يجوز لنا الوقف بثلاث كيفيات بثمانية أوجه، بيانها كالتالي:

المدُّ في (السماء) واجب متصل يمد وقفًا أربع أو خمس حركات، ويجوز ست؛ لأن الهمز فيه متطرِّف، هذه الأوجه الثلاثة على الوقف بالسكون المحض على الهمزة، ومثلها في الوقف بالإشمام؛ لأنَّ الإشمام يعامل معاملة الوقف، والكيفية الثالثة الوقف بالروم وفيه وجهان أربع وخمس حركات فقط؛ لأنَّ الروم يعامل معاملة الوصل، قال الشاطبي: "**ورومُهُمْ كَمَا وَصْلِهِم**".

ولاحظت أن من الأمور التي أغفلها أكثر القراء التنوع الأدائي في الوقف على أواخر الكلم القرآني، فقد اقتصروا على ما اشتهر منها وهو الوقف بالسكون، وأهملوا ما عداه من أوجه جائزة، مع ما لها من أهمية في بعض الأحيان، كما هو الحال في الوقف على الأفعال المتصلة بخطاب المفردة المؤنثة، من نحو: "اصطفاك وطهرك" و "يبشرك" في قول الله – تعالى-: ﴿ **وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾[3]، و ﴿**يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ**﴾[4]، فالوقف على هذه الأفعال بالروم يظهر أن الخطاب لمؤنث، بما لا يظهره الوقف بالسكون.

---

(١) جامع البيان في القراءات السبع ٨٣٢/٢.

(٢) من الآية (٢٩) من سورة الدخان.

(٣) من الآية (٤٢) من سورة آل عمران.

(٤) من الآية (٤٥) من سورة آل عمران.

فائدة: (الخلاف بين سيبويه والقراء في الوقف على المفتوح والمنصوب غير المنون):

ومما تجدر الإشارة إليه في ختام هذا المبحث أنَّ علماء الوقف والابتداء خالفوا سيبويه في الوقف على المفتوح والمنصوب غير المنون؛ حيث أجاز سيبويه الوقف عليه بالروم، قال: "وأمَّا ما كان في موضع نصب أو جر فإنك تروم فيه الحركة، فأمَّا الإشمام فليس إليه سبيل"(١)، في حين منعه علماء القراء، فلم يجيزوا في الوقف على المنصوب إلا السكون المحض، وحجتهم أنَّ المنصوب إن كان منونًا وقف عليه بالألف، وإن لم يكن فلخفة حركته لا يقبل التبعيض كما يقبله الكسر والضم؛ لثقلهما، ولخفة الفتحة فإنَّه إذا خرج بعضها خرج كلها(٢). قال الشَّاطبيُّ:

ولم يرهُ في الفتْحِ والنَّصبِ قارئٌ ∴ وعنْدَ إمامِ النَّحوِ في الكُلِّ أُعْمِلا(٣)

وأرجع ابن الجزري جواز الروم في المنصوب عند النحاة مع انتفائه عند القراء لأنَّ الروم عند النحاة إخفاء الحركة فهو بمعنى (الاختلاس) في اصطلاح القراء، وهذا لا يمتنع عندهم في الحركات الثلاث، فالروم عند القراء يختلف عن الاختلاس والإخفاء، في حين أنَّ النحاة يرونهما بمعنى واحد، ونقل ابن الجزري عن الإمام الداني أنَّه يرى الخفاء والروم بمعنى واحد، وخطَّأه(٤).

وللتوضيح أقول: بناء على ما ذكره سيبويه من جواز الروم في المنصوب غير المنون يجوز في نحو: (لا ريبَ) و(أنَّ المساجدَ) الوقف

---

(١) الكتاب ١٧١/٤، وينظر: شرح السيرافي ٤٣/٥.

(٢) ينظر: شرح طيبة النشر لابن الجزري ص١٤٢.

(٣) متن الشاطبية ص٣٠.

(٤) ينظر: النشر في القراءات العشر ١٢٦/٢. وينظر: شرح طيبة النشر للنويري

بالسكون المحض والوقف بالروم بإظهار جزء من صوت الفتحة بصوت خفي، وعند القراء لا يصح الوقف عليهما إلا بالسكون المحض؛ لأن المنصوب عندهم لا يقبل الروم ولا الإشمام. والمعوَّل عليه في ذلك هو السند في القراءة ولم يرد عن أحد من أئمَّة القراءة أنه وقف على منصوب بالروم، صحيح أن منهم من اختلس الفتحة في أجزاء بعض الكلمات القرآنية، كما جاء في قراءة أبي عمرو البصري ورواية قالون وابن جماز في (يهدِّي) من قول الله –تعالى–: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ (١)، إلا أن الروم كيفيَّةٌ من كيفيات الوقف على الكلم القرآني، وسيبويه ناقل عن العرب، فلا يبعد أن يكون قد سمعه عن بعضهم، لكن لم يقرأ به أحد من القراء(٢)، فيكون هذا الوجه من الوقف على المنصوب غير المنون مما ورد لغة ولم يرد قرآناً، وليس كل ما ورد عن العرب قرئ به، والله تعالى أعلم.

***

(١) من الآية (٣٥) من سورة يونس، وتنظر القراءة في: غيث النفع في القراءات السبع لعلي بن محمد بن سالم ص٢٨٧.

(٢) قال ابن القاصح العذري في كتابه سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي (ص١٢٥): "وذهب سيبويه وغيره من النحويين إلى جواز الروم في المفتوح والمنصوب ولم يقرأ به أحد".

تتمَّة: معرفة سيبويه بالحديث النبوي الشريف

قبل أن أذكر مدى معرفة سيبويه ودرايته بالحديث واستشهاده به فإنِّي أُذَكِّر بما اشتهر عنه من قصته مع شيخه حماد بن سلمة (ت١٦٧ه) وإخفاقه في تعلم الحديث في مقتبل حياته، مما كان سببًا في اتجاهه إلى علوم العربية يتعلمها ويجتهد فيها، حتى أتقنها وصنَّف فيها كتابه الرائد الذي أودعه جلَّ ما سمعه من مشايخه في العربية(١)، ويرى بعض الباحثين أنَّ شخصية سيبويه اعتورتها جملة أمور جعلته يشعر بالنقص، منها: عجمته، والحبسة التي في لسانه، وحادثة طرده من حلقة الحديث بسبب لحنه فيه، ما كان له الأثر المباشر في دفعه لبذل الجهد والتفوق في تحصيل علوم العربيَّة، كما يذكر أنَّ إخفاق سيبويه في تعلم الحديث كان سببًا في تنكُّبه الاحتجاج به؛ لأنَّ فاقد الشيء لا يعطيه، وبهذا المنهج يكون سيبويه أول من جرَّأ النحويين على العزوف عن الاحتجاج بالحديث النبوي-على حدِّ تعبيره- مستعينًا بأقوال علماء الطب النفسي(٢).

إلَّا أنَّ هذا التحليل النفسي لشخصية سيبويه إمام العربية غير سديد، لا يستقيم ولا ينبغي التسليم به، فقد كان سيبويه -رحمه الله وغفر له- قريب عهد بالنبوة، والناس يتذكرون أحاديث النبي -صلوات ربي وسلامه عليه- ويتدارسونها؛ ليهتدوا بهديه ويتبعوا سنته، وما كان سيبويه بمعزل عن العلم بالأحاديث النبوية، وفي كتابه ما يدل على أنه استشهد بحديث النبي -ﷺ- في مواضع كثيرة- وإن لم يصرح بنسبتها. وسوف أذكر في هذا المبحث ما

---

(١) ينظر: أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص٣٥، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء للأنباري ص٤٣.

(٢) ينظر: سيبويه والاحتجاج بالحديث الشريف، أ د. سعدون أحمد علي الربعي، بحث بمجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية.

يؤكد استشهاد سيبويه بالحديث النبوي الشريف على أنَّها منقولة عن عربي فصيح، في محاولة للتوصل في نهاية هذا المبحث إلى استنتاج الأسباب التي دعت سيبويه إلى عدم نسبة هذه الأحاديث إلى النبي -ﷺ- مع كثرة استشهاده ببعض نصوص منها. والله المستعان.

* في باب (ما يكون فيه هو وأنت وأنا ونحن وأخواتهن فصلًا) قال سيبويه: "وأما قولهم: "كلُّ مولود يُولَدُ على الفطرة، حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه"، ففيه ثلاثة أوجه: فالرفع وجهان والنصب وجه واحد"(١). فاستشهد بهذا النصِّ على إعراب (اللذان) على ثلاثة أوجه، وجهين من جهة الرفع وثالث من جهة النصب، على النحو الآتي: أحد وجهي الرفعِ أن يكون في (يكون) ضمير هو اسمها، و(أبواه) مبتدأ، وثانيهما- أن يكونَ (أبواهُ) مرفوعين بـــ(يكون)، و(هما) مبتدأٌ، خبرُهما (اللذان) بصلته، وأما النصبُ فعلى أنْ يكونَ (أبواه) اسم (يكون)، و(هُما) فصلًا، و(اللذين) خبرَ (يكون)، فهذه ثلاثةُ أوجهٍ(٢).

وهذا النصُّ الذي استشهد به هو جزء من حديث نبوي شريف، قال النبي -ﷺ-: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ،...»، الحديث في الصحيحين(٣).

* في باب (ما يكون من الأسماء صفة منفردًا وليس بفاعل ولا صفةٍ تشبَّه بالفاعل) ذكر سيبويه جواز إعمال اسم التفضيل في المصدر فِي حالةٍ

---

(١) الكتاب ٣٨٩/٢.

(٢) السابق، وينظر: شرح الكتاب للرماني ص٦٩٠.

(٣) صحيح البخاري ١٢٣/٨، ولفظ مسلم ٢٠٤٧/٤، «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟».

ضابطُها: أَن يكون أفعل صفة لاسم جنس مَسْبُوق بِنَفْي وَالْفَاعِل مفضلًا على نَفسه باعتبارين، وهي المعروفة بمسألة الكحل، نسبة لما ورد عن الْعَرَب: "مَا رَأَيْت رجلًا أحسن فِي عينه الْكحل مِنْهُ فِي عين زيد"، وفيها يقول: "ومثل ذلك: ما من أيامٍ أحبَّ إلى الله عز وجل فيها الصومُ منه في عشرِ ذي الحجة"(١)، وهذا الشاهد الذي ذكره سيبويه هو حديث نبوي شريف، روى الإمام أحمد في مسنده: "قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إِلَى اللهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ"(٢)، بلفظ العمل بدلًا من الصوم، وفي روايات أخرى بلفظ (الصوم)(٣).

* وفي مسألة (ما جاء مؤنَّثًا صفةً تقع للمذكر والمؤنَّث)، قال سيبويه: "فأمَّا ما جاء من المؤنَّث لا يقع إلَّا لمذكر وصفًا، فكأنه في الأصل صفة لسلعة أو نفسٍ، كما قال: "لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمةٌ"(٤)، وجه الاستشهاد أنَّه أوقع (مسلمة) صفة لـــ(نفس) مع كونه مذكرًا في اللفظ؛ وذلك لأنه مما يقع على الذكر والأنثى.

والذي استشهد به سيبويه هو جزء من حديث نبوي، عَنْ بِشْرِ بْنِ سُحَيْمٍ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- خَطَبَ فِي يَوْمِ التَّشْرِيقِ في الحج، فَقَالَ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ هَذِهِ الْأَيَّامَ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ" والحديث في مسند أحمد، والسنن الكبرى للنسائي، وغيرها(٥).

---

(١) الكتاب ٣٢/٢.

(٢) مسند أحمد ٥١/١١.

(٣) لفظه في السنن الكبرى للبيهقي ٤٧٢/٤: "مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَقْضِيَ فِيهَا شَهْرَ رَمَضَانَ مِنْ أَيَّامِ الْعَشْرِ".

(٤) الكتاب ٢٣٧/٣.

(٥) ينظر: مسند أحمد ١٥٨/٢٤، والسنن الكبرى للنسائي ٢٤٩/٣.

* وكذلك في باب: (ما يُضْمَرُ فيه الفعلُ المستعمَل إظهارُه بعد حرفٍ): فقد استهله سيبويه بقوله: "وذلك قولك: "الناسُ مَجزِيُّونَ بأعمالهم إنْ خيرًا فخيرٌ وإن شرًّا فشرٌّ"، و "المرء مقتولٌ بما قَتَلَ به إنْ خِنْجَرًا فخنجرٌ وإن سيفًا فسيفٌ". وإن شئتَ أَظهرتَ الفعلَ فقلت: إن كان خِنجَرًا فخنجرٌ وإن كان شرًّا فشرٌّ. ومن العرب من يقول: إنْ خِنجرًا فخِنْجَرًا، وإنْ خيرًا فخيرًا وإن شرًّا فشرًّا، كأَنه قال: إن كان الذي عَمل خَيرًا جُزيَ خيرًا، وإن كان شرًّا جزي شرًّا. وإنْ كان الذي قَتَلَ به خنجرًا كانَ الذي يُقْتلُ به خنجرًا. والرفعُ أكثرُ وأحسن في الآخِر؛ لأنَّك إذا أدخلتَ الفاء في جواب الجزاء استأنفتَ ما بعدها وحَسُنَ أن تقع بعدها الأسماءُ"(١).

يوضح هنا الأوجه الجائزة في هذا الأسلوب، وخلاصة ما ذكر أننا إن نصبنا (خيرًا) يكون الفاعل مضمرًا في الفعل المحذوف الذي يقدر بعد إن، كأنه قال: إن كان عمله خيرًا، وإن قدرنا الفعل محذوفًا فارغًا من ضمير، جعلت هذا الظاهر هو الفاعل، فتقديره: إن كان في عمله خير، فنرفع (خير) بكان المضمرة، ونحذف الخبر. وهذان الوجهان سائغان في المواضع التي يسوغ فيها هذا التقدير. وإن كان الفعل المقدر بعد (إن) لا يكون فاعله إلا مضمرًا فيه؛ لم يجز في الظاهر إلا النصب. وهذا شيء يقتضيه معنى الكلام، والوجه الأول من هذه الأوجه هو أرجحها؛ لأن فيه إضمار "كان" واسمها بعد "إن" وإضمار المبتدأ بعد فاء الجزاء، وكلاهما كثير مطرد(٢).

وهذا الشاهد الذي استهلَّ به سيبويه وهو الوجه الأرجح منها جاء في حديث مروي بلفظه في موضع الشاهد، جاء في رواية: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «مَا أَسَرَّ عَبْدٌ سَرِيرَةً إِلَّا أَلْبَسَهُ اللَّهُ رِدَاءَهَا، إِنْ خَيْرًا

(١) الكتاب ٢٥٨/١.

(٢) ينظر: شرح أبيات سيبويه للسيرافي ٢٨/١، والتصريح بمضمون التوضيح ٢٥٤/١.

فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ»[١]، وفي رواية أخرى حديث قدسي: "إِنَّ اللهَ يَقُولُ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ»"[٢]. وهناك روايات أخرى مختلفة المناسبة مع اتفاقها في موضع الاستشهاد.

وغير هذا كثير من الأحاديث التي استشهد بها سيبويه في كتابه، والتي لا يتسع المقام لتفصيلها، وإنما أشير إلى بعضها بإيجاز:

* قال سيبويه: "فبها ونعمت"[٣]، وهو من حديث في مسند الإمام أحمد وغيره، نصه: «مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الجُمُعَةِ فَبِهَا وَنِعْمَتْ، وَمَنِ اغْتَسَلَ فَالغُسْلُ أَفْضَلُ»[٤].

* قال سيبويه: "لا ينبغي لأحد أن يقول: مُطرنا بنَوْء كذا"[٥]، وهو من حديث قدسي رواه مسلم وأبو داود: «وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»[٦].

* قال سيبويه: "ومن العرب من يَرفع فيقولُ: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبَّ الملائكة والرُّوح، كما قال: أهلُ ذاك وصادقٌ واللهِ. وكلٌّ هذا على ما سمعنا العربَ تَتكلَّم به رفعًا ونصبًا"[٧]. وهذا الشاهد حديث شريف عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- مرفوعًا إلى النبي -ﷺ-، وقد روي كذلك بالروايتين رفعًا ونصبًا، وقد ذكر سيبويه جوازهما، فورد مرفوعًا في مسند أحمد وسنن

---

(١) المعجم الأوسط ٤٤/٨.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٨٩/٢٢.

(٣) الكتاب ١١٦/٤.

(٤) ينظر الحديث في: مسند أحمد ٣٤٦/٣٣، وسنن النسائي ٩٤/٣.

(٥) الكتاب ٤٧/٢.

(٦) ينظر الحديث في: صحيح مسلم ٨٣/١، وسنن أبي داود ١٦/٤.

(٧) الكتاب ٣٢٧/١.

النسائي: "عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»"(١)، وورد في غيرها بالنصب(٢).

التعقيب: وبعد هذا العرض فليس من المقبول أن نتهم سيبويه بعزوفه عن علم الحديث، وليس من السديد أن نجهد أنفسنا في تحليل شخصية الرجل لمعرفة أسباب تنكبِّه عن الاستشهاد بالحديث، فقد ظهر قطعًا أنه استشهد بأجزاء من كلام المصطفى-ﷺ-، وإنَّما الأجدر بنا أن نتحرى أسباب عدم نسبته هذه الأحاديث إليه-ﷺ-.

* ومما يؤكد معرفة سيبويه بالحديث، حتى إنه ليعرف مشهوره وغريبه- قصةٌ رواها أبو البركات الأنباري، قال: "قال محمد بن سلّام: كان سيبويه جالسًا في حلقة بالبصرة، فتذاكرنا شيئًا من حديث قتادة، فذكر حديثًا غريبًا، وقال: لم يرو هذا الحديث إلَّا سعيد بن أبي العروبة، فقال له بعض ولد جعفر: ما هاتان الزيادتان يا أبا بشر؟ فقال: هكذا يقال؛ لأنَّ العروبة يوم الجمعة، فمن قال: "عروبة" فقد أخطأ(٣). قال ابن سلّام: فذكرت ذلك ليونس، فقال: أصاب الله دره!"(٤).

والذي يبدو لي أن سيبويه لم يُعنَ بذكر القائل ما اطمأنت نفسه إلى

---

(١) مسند أحمد ٧٣/٤٠، وسنن النسائي ١٩٠/٢.

(٢) ينظر: مسند أبي داود الطيالسي ٩٦/٣.

(٣) يوم الجمعة كان يقال له: يوم العروبة في الجاهلية، وبعضهم كان يحذف منه (ال) التعريفية، قال ابن دريد: "وَالْجُمُعَة: العَروبة، وَرُبمَا لم تدخل الْألف وَاللَّام فِيهَا"، أما عند استعماله اسمًا فإنه يتجرد منهما، قال الفارابي: "ويوم العَروبةِ: يوم الجمعة، وهو من أسمائهم القديمة. وابن أبي العروبة بالألف واللام". ينظر: جمهرة اللغة ١٣١١/٣.

(٤) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص٥٦،٥٧.

فصاحته وسلامة لسانه قدر عنايته بتوثيق شواهد القاعدة التي يستنبطها من هذا القول الفصيح. وربما لم يصرح بنسبة الأحاديث تورعًا، خشية أن يفتح باب الاستشهاد بالحديث على مصراعيه، فيُدخِل فيه من جاء بعده ما ليس منه، وقبل كل ذلك فإنَّ التدوين في علم الحديث لم يتم إلا بعد زمن وفاة سيبويه، فإن الإمام البخاري-رحمه الله تعالى- وهو أول من صنَّف في الحديث الشريف وُلِد سنة أربع وتسعين ومائة[1]، أي: بعد وفاة سيبويه رحمهما الله وغفر لهما.

وفي النهاية فلا أدَّعي بما ذكرته في هذا المبحث أنَّ سيبويه قد أتقن الحديث أيَّما إتقان، فبلغ فيه درجة الكمال، وإنما الغرض منه التأكيد على أنَّه كان آخذًا منه بطرف، مستشهدًا ببعض نصوصه في كتابه، مما ينفي عنه ما نسب إليه من عدم علمه به وتنكبه الاستشهاد به. والله تعالى أعلم.

***

(١) ينظر: من روى عنهم البخاري في الصحيح لعبد الله بن المبارك الجرجاني ص٤٩.

الخاتمة

الحمد لله الذي وفَّق وأعان، ويسَّر بفضله ما كان، والصلاة والسلام على سيِّد الأولين والآخرين ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،،

فقد صال الفكر وجال –قدر ما وسعه الجهد– في واحدٍ من أجل كتب اللغة وأشهرها، كتاب إمام النحويين سيبويه، سعيًا للوصول إلى الغاية المرجوة، من نتائج يحسن الوقوف عليها، فكان من أبرزها:

* استطاع إمام النحاة (سيبويه) تحقيق التكامل المعرفي فكان كتابه موسوعة علمية شاملة، ضمت أسس ومبادئ كثير من علوم اللغة العربية، كالنحو والصرف والبلاغة وعلم الدلالة واللهجات والأصوات والعروض والقوافي، وكثيرًا من علوم القرآن الكريم، كالتوجيه اللغوي للقراءات القرآنية وعلم التجويد وأحكام القرآن الكريم وعلم الوقف والابتداء... وغيرها. ويمكن إرجاع هذا إلى عدة عوامل، لعل أشهرها تتلمذه على أيدي كبار علماء عصره في علوم العربية الذين اشتهروا بفكرهم الموسوعي من خلال معرفتهم بكلام العرب وموازين الشعر وأوجه القراءات، كالخليل بن أحمد الفراهيدي وأبي عمرو البصري ويونس بن حبيب الضبِّيّ وغيرهم.

* يعد كتاب سيبويه رافدًا عظيمًا للدراسات القرآنيَّة بما حواه من تصوير دقيق لما كان عليه نطق العرب، من حيث مخارج الحروف وصفاتها وما يطرأ عليها من عوارض التركيب، وكذلك الكيفية الصحيحة والأوجه الجائزة في الوقف على أواخر الكلم؛ وهو ما تناقله علماء التجويد والوقف والابتداء الذين أفادوا منه في مؤلفاتهم، وحصل بذلك وعد ربنا بحفظ كتابه من التحريف.

* ينبغي لمن يدرس علوم القرآن الكريم على تنوعها أن يكون ملمًّا بعلم

الإعراب وبما قد يحتمله النص القرآني من أوجه إعرابيَّة مختلفة، قد يترتب عليها خلافات جوهرية في النص القرآني، كاختلاف التفسير للآية واختلاف مواضع الوقف والابتداء فيها.

* كثيرًا ما كان سيبويه يستشهد بالحديث في كتابه، مما يدل على درايته بأحاديث المصطفى –صلى الله عليه وسلَّم–، وفي هذا ردٌّ على من زعم تنكبه عن الاستشهاد به وعزوفه عن تعلمه، إلا أنه لم يعتن بنسبة هذه الشواهد؛ ويغلب على الظن أن هدفه كان استنباط القواعد من الكلام الفصيح، فلم يعبأ بالقائل طالما اطمأنت نفسه إلى فصاحته وصحة ما وصل إليه منه، كما أن علم الحديث لم يكن قد استقر وانتهى إلى ما تطمئن إليه النفس في ذلك الوقت.

وأخيرًا فإنِّي أوصي كل باحث، وأوصي نفسي أولًا بإخلاص النية لله – تعالى– في طلب العلم، والاجتهاد فيه، والصبر عليه، وأن لا تقتصر معارفنا على جانب واحد من جوانب العلم، ونسأل الله في ذلك العون والتوفيق والسداد.

وقبل أن أضع قلمي عن هذا العمل فإني لا أزكيه ولا أدعي له العصمة؛ إذ هو جهد بشري، يسري عليه الخطأ ويكتنفه النقصان، فعزَّ وجلَّ من تنزَّه عن كل عيب ونقصان. أسأل الله –سبحانه– الإخلاص والقبول في القول والعمل، وأن يختم بالصالحات أعمالنا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

***

فهرس المراجع

١- أخبار النحويين البصريين، السيرافي، تح/ طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، ط: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٣هـ.

٢- أسئلة سيبويه للخليل عن القراءات- جمع ودراسة، د/ محمود مصطفى عفش، بحث منشور بالمجلة العلمية لكلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا، العدد التاسع، ١٤٤٥ه.

٣- الأصول في النحو، ابن السراج، تح: عبد الحسين الفتلي، ط: مؤسسة الرسالة، لبنان.

٤- إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٢١هـ.

٥- إعراب القرآن، الباقولي، تح/ إبراهيم الإبياري، ط: دار الكتاب المصري- الرابعة.

٦- الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش، الناشر: دار الصحابة للتراث.

٧- ألفية ابن مالك، تح: د. عبد المحسن بن محمد القاسم، الرابعة.

٨- أمالي ابن الشجري، تح: محمود محمد الطناحي، ط: مكتبة الخانجي- القاهرة، ط١.

٩- الانتصار لسيبويه على المبرد، ابن ولاد، تح: زهير عبد المحسن سلطان، ط: مؤسسة الرسالة- بيروت.

١٠- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري، ط: المكتبة العصرية، الأولى .

١١- أنواع التَّصنيف المتعلِّقة بتَفسير القُرآن الكريم، لـ/ د. مساعد ابن سليمان بن ناصر الطيار، ط: دار ابن الجوزي، الثالثة.

١٢- إيضاح الوقف والابتداء، أبو بكر الأنباري، تح: محيي الدين رمضان، ط: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
١٣- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط: دار الجيل- بيروت، الثالثة.
١٤- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تح: صدقي محمد جميل وآخرين، ط: دار الفكر- بيروت،١٤٢٠هـ.
١٥- البداية والنهاية، ابن كثير، ط: مطبعة السعادة- القاهرة، وصورتها: دار الفكر- بيروت.
١٦- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، الفيروزابادي، ط: دار سعد الدين، الأولى ١٤٢١هـ.
١٧- البيان والتبيين، الجاحظ، ط: دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.
١٨- تاريخ ابن خلدون، تح: أ. خليل شحادة، ط: دار الفكر، بيروت، الأولى، ١٤٠١هـ.
١٩- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، التنوخي المعري، تح: د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط: هجر، القاهرة، الثانية ١٤١٢هـ.
٢٠- التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، أبو البقاء العُكبَري، تح: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، تح: دار الغرب الإسلامي- بيروت، الأولى، ١٤٠٦هـ.
٢١- تحفة الأجاويد في فن التجويد للشيخ حسن عبد العال الشريف، الطبعة الرابعة.
٢٢- التصريح بمضمون التوضيح، خالد الأزهري، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤٢١هـ.

٢٣- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب، ط: دار إحياء التراث- بيروت، الثالثة- ١٤٢٠ه.

٢٤- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، ناظر الجيش، تح: علي محمد فاخر وآخرين، ط: دار السلام- القاهرة، الأولى، ١٤٢٨هـ.

٢٥- التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، تح: د. علي حسين البواب، ط: مكتبة المعارف، الرياض، الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢٦- تهذيب اللغة، الأزهري، تح: محمد عوض مرعب، ط: دار إحياء التراث- بيروت، الأولى.

٢٧- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المرادي، تح: عبد الرحمن علي، ط: دار الفكر العربي، الأولى ١٤٢٨هـ.

٢٨- التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، تح: أوتو تريزل، ط: دار الكتاب العربي-١٤٠٤هـ.

٢٩- جامع البيان في القراءات السبع، أبو عمرو ، ط: جامعة الشارقة- الإمارات، ط: الأولى، ١٤٢٨هـ.

٣٠- جمهرة اللغة، ابن دريد، تح: رمزي منير، ط: دار العلم للملايين- بيروت، الأولى، ١٩٨٧م.

٣١- حجة القراءات، أبو زرعة ابن زنجلة، تح: حواشيه: سعيد الأفغاني، ط: دار الرسالة.

٣٢- الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، تح: د. عبد العال سالم مكرم، ط: دار الشروق- بيروت، الرابعة، ١٤٠١ه.

٣٣- الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، تح: بدر الدين قهوجي، وآخرين، ط: دار المأمون للتراث- بيروت، الثانية، ١٤١٣هـ.

٣٤- الحيوان، الجاحظ، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، الثانية، ١٤٢٤هـ.

٣٥- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، تح: عبد السلام محمد هارون، ط: مكتبة الخانجي، الرابعة، ١٤١٨هـ.
٣٦- خصائص التركيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. محمد محمد أبو موسى، ط: مكتبة وهبة، الرابعة، ١٤١٦ه.
٣٧- الخصائص، ابن جني الموصلي، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الرابعة.
٣٨- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تح: د. أحمد الخراط، ط: دار القلم، دمشق.
٣٩- دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط: مطبعة المدني بالقاهرة- دار المدني بجدة، الثالثة ١٤١٣هـ.
٤٠- ديوان أبي إسحاق الإلبيري، أبو إسحاق التُّجيبي الإلِبِيري، تح: د. محمد رضوان الداية، ط: دار قتيبة- دمشق، الثانية، ١٤٠١ه.
٤١- ديوان ذي الرُّمَّة: تح: عبد القدوس، ط: مؤسسة الإيمان- جدة، الأولى، ١٩٨٢م.
٤٢- ديوان عروة بن أذينة، جمع د. يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت.
٤٣- ديوان عمر بن أبي ربيعة، تح: محمد محيي الدين، ط: السعادة، الأولى، ١٣٧١ه.
٤٤- ديوان لبيد بن ربيعة، تح: حمدو طماس، ط: دار المعرفة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.
٤٥- ديوان المتنبي، ط: دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٤٦- روح المعاني، الألوسي، تح: علي عبد الباري عطية، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، الأولى،١٤١٥هـ.

٤٧- الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، تح: د. حاتم صالح الضامن ط: مؤسسة الرسالة- بيروت، الأولى، ١٤١٢هـ.

٤٨- السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تح: شوقي ضيف، ط: دار المعارف- الثانية، ١٤٠٠هـ.

٤٩- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ط: دار الكتب العلمية، بيروت- الأولى ١٤٢١هـ.

٥٠- سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، (شرح حرز الأماني ووجه التهاني للشاطبي)، ابن القاصح العذري، ط: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الثالثة، ١٣٧٣هـ.

٥١- سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: المكتبة العصرية، بيروت.

٥٢- سنن النسائي، تح: حسن شلبي، ط: مؤسسة الرسالة- بيروت، الأولى، ١٤٢١هـ.

٥٣- السنن الكبرى، البيهقي، تح: محمد عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الثالثة،١٤٢٤هـ.

٥٤- سيبويه والاحتجاج بالحديث الشريف، أ د. سعدون أحمد علي الربعي، بحث بمجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية.

٥٥- الشافية في علم التصريف، ابن الحاجب، تح: حسن أحمد العثمان، ط: المكتبة المكية- مكة، الأولى، ١٤١٥هـ.

٥٦- شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملاوي، تح: نصر الله عبد الرحمن، ط: مكتبة الرشد- الرياض.

٥٧- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: دار التراث- القاهرة، العشرون ١٤٠٠هـ.

٥٨- شرح أبيات سيبويه، السيرافي، تح: د. محمد علي الريح هاشم، ط: مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ١٣٩٤هـ.

٥٩- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤١٩هـ.

٦٠- شرح التسهيل، ابن مالك، تح: عبد الرحمن السيد وغيره، ط: دار هجر، ط١، ١٤١٠هـ.

٦١- شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري»، محمد بن محمد حسن شُرَّاب، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، ١٤٢٧هـ.

٦٢- شرح الكافية الشافية، ابن مالك الطائي الجياني، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، ط: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي، مكة، الأولى.

٦٣- شرح المفصل، ابن يعيش، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٦٤- شرح تصريف المازني، عمر بن ثابت الثمانيني، تح: د. إبراهيم ابن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد- الرياض، الأولى، ١٤١٩ه.

٦٥- شرح شافية ابن الحاجب، ركن الدين، تح: د. عبد المقصود محمد، ط: مكتبة الثقافة الدينية، الأولى ١٤٢٥هـ.

٦٦- شرح شافية ابن الحاجب، الرضي، تح: محمد نور الحسن وآخرين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت- ١٣٩٥هـ.

٦٧- شرح شذور الذهب، ابن هشام، تح: عبد الغني الدقر، ط: الشركة المتحدة- سوريا.

٦٨- شرح كتاب سيبويه، السيرافي (ت٣٦٨هـ)، تح: أحمد حسن مهدلي

وعلي سيد علي، ط: دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

٦٩- صحيح البخاري، تح: محمد زهير الناصر، ط: دار طوق النجاة، الأولى، ١٤٢٢هـ.

٧٠- صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٤هـ.

٧١- ضرائر الشعر، ابن عصفور، تح: السيد إبراهيم محمد، ط: دار الأندلس، الأولى.

٧٢- طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار المعارف.

٧٣- العروض، ابن جني، تح: د. أحمد فوزي الهيب، ط: دار القلم- الأولى، ١٤٠٧هـ.

٧٤- العقد الفريد، ابن عبد ربه، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، الأولى، ١٤٠٤هـ.

٧٥- علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ط: عالم الكتب، الخامسة، ١٩٩٨م.

٧٦- علم العروض والقافية، عبد العزيز عتيق، ط: دار الآفاق العربية، الأولى، ١٤٢٧ه.

٧٧- علم اللغة العربية، د. محمود فهمي حجازي، ط: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

٧٨- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د. مهدي المخزومي وغيره، ط: دار الهلال.

٧٩- غيث النفع في القراءات السبع، علي بن محمد النوري الصفاقسي، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، تح: أحمد محمود الشافعي، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ.

٨٠- فتح القدير، الشوكاني، ط: دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، الأولى- ١٤١٤ه.

٨١- الكتاب، سيبويه، تح: عبد السلام هارون، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة، الثالثة، ١٤٠٨هـ.

٨٢- كناشة النوادر، عبد السلام محمد هارون، ط: مكتبه الخانجي، الأولى، ١٤٠٥ه.

٨٣- لسان العرب، ابن منظور، تح: لليازجي وآخرين، ط: دار صادر، الثالثة- ١٤١٤هـ.

٨٤- اللمع في العربية، ابن جني، تح: فائز فارس، ط: دار الكتب الثقافية- الكويت.

٨٥- متن الشاطبية = حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيره الشاطبي، تح: محمد تميم الزعبي، ط: مكتبة دار الهدى، الرابعة، ١٤٢٦هـ.

٨٦- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: المكتبة العصرية للطباعة والنشر- بيروت، ١٤٢٠ه.

٨٧- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، تح: علي النجدي ناصف، وآخرين، ١٣٨٩هـ.

٨٨- المحرر الوجيز، ابن عطية، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، الأولى- ١٤٢٢ه.

٨٩- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده المرسي، تح: عبد الحميد هنداوي، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، الأولى، ١٤٢١هـ.

٩٠- مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٤٣٠ه.

٩١- المسائل العسكريات في النحو العربي، أبو علي النحوي، تح: د. علي جابر، ط: الدار العلمية الدولية، الأردن، ٢٠٠٢م.

٩٢- المستوى الدلالي في كتاب سيبويه، د. مي فاضل جاسم الجبوري أستاذ مشارك- قسم اللغة والنحو والصرف، كلية اللغة العربية- جامعة أم القرى- مكة المكرمة.

٩٣- مسند أبي داود الطيالسي، تح: د. محمد بن عبد المحسن التركي، ط: دار هجر- مصر، الأولى، ١٤١٩هـ.

٩٤- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ط: الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

٩٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، ط: المكتبة العلمية- بيروت.

٩٦- معاني القراءات، للأزهري، ط: مركز البحوث- جامعة الملك سعود، الأولى، ١٤١٢هـ.

٩٧- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط: عالم الكتب- بيروت، الأولى١٤٠٨هـ.

٩٨- معاني القرآن، الفراء، تح: أحمد يوسف النجاتي، وآخرين، ط: دار المصرية- مصر، الأولى.

٩٩- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، تح: إحسان عباس، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٤١٤هـ.

١٠٠- المعجم الأوسط، الطبراني، تح: طارق بن عوض الله، ط: دار الحرمين- القاهرة.

١٠١- المعجم الكبير، الطبراني، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط: مكتبة ابن تيمية- القاهرة، الثانية.

١٠٢- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار، ط: عالم الكتب، الأولى، ١٤٢٩هـ.

١٠٣- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، تح: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، ط: دار الفكر- دمشق، السادسة، ١٩٨٥م.

١٠٤- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان الداودي، ط: دار القلم، الدار الشامية- دمشق، بيروت، الأولى- ١٤١٢هـ.

١٠٥- المكتفى في الوقف والابتدا، أبو عمرو الداني، تح: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، ط: دار عمار، الأولى ١٤٢٢هـ.

١٠٦- الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور، ط: الناشر: مكتبة لبنان، الأولى.

١٠٧- المنصف، لابن جني، ط: دار إحياء التراث القديم، الأولى ١٣٧٣هـ.

١٠٨- منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه لابن الجزري، تح/ د. أيمن رشدي سويد، ط: دار نور المكتبات للنشر والتوزيع بجدة، الرابعة، ١٤٢٧هـ.

١٠٩- الموافقات، إبراهيم بن موسى الغرناطي الشهير بالشاطبي، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط: دار ابن عفان، الأولى ١٤١٧هـ.

١١٠- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات الأنباري، تح: إبراهيم السامرائي، ط: مكتبة المنار، الزرقاء- الأردن، الثالثة، ١٤٠٥هـ.

١١١- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تح: علي محمد الضباع،

ط: المطبعة التجارية الكبرى.

١١٢- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، تح: عبد الحميد هنداوي، ط: المكتبة التوفيقية- مصر.

١١٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان الإربلي، تح: إحسان عباس، ط: دار صادر- بيروت.

References

1- Akhbar al-Basiriya grammarians, al-Sirafi, edited by Taha Muhammad al-Zaini and Muhammad Abd al-Munim Khafaji, ed: Mustafa al-Babi al-Halabi, 1373 AH.

2- Sibuwayh's questions to Khalil about the readings - collection and study, Dr. Mahmoud Mustafa Afsh, research published in the scientific journal of the College of the Holy Qur'an for Readings and its sciences in Tanta, the ninth issue, 1445 AH.

3- Al-Usul in Grammar, Ibn al-Sarraj, edited by: Abdul Hussein al-Fatli, edition: Al-Risala Foundation, Lebanon.

4- I'raab al-Qur'an, Abu Ja'far al-Nahhas, ed: Abdel Moneim Khalil Ibrahim, edited by: Manshurat Muhammad Ali Baydoun, Dar Al-Kutub Al-Alamiya, Beirut, first edition, 1421 AH.

5- I'raab al-Quran, al-Baqouli, edited by Ibrahim al-Ebiary, edition: Dar Al-Kitab Al-Masri - the fourth.

6- Al-Iqnaa' in the seven readings, Ibn Al-Badash, publisher: Dar Al-Sahaba Al-Therath.

7- Alfiya Ibn Malik, edited by: Dr. Abdul Mohsen bin Muhammad Al-Qasim, the fourth.

8- Amali Ibn Al-Shujari, edited by: Mahmoud Muhammad al-Tanahi, edition: Al-Khanji Library - Cairo, 1st edition.

9 - The victory of Sibweh over Al-Mabard, Ibn Walad, ed: Zuhair Abdul Mohsen Sultan, edition: Al-Risala Foundation - Beirut.

10 - Al-Insaf in matters of disagreement between the Basrahite and Kufian grammarians, Abu al-Barakat al-Anbari, Al-Asriya Library, first edition.

11- Types of classification related to Tafsir The Holy Quran, by Dr. Musaed bin Sulaiman bin Nasser Al-Tayyar, Dar Ibn al-Jawzi, the third edition.

12- Idah al-Waqf wa al-Ibtida', Abu Bakr al-Anbari, edition: Muhyiddin Ramadan, ed: Publications of the Arabic Language Academy in Damascus.

13- Clarification in the sciences of rhetoric, Al-Qazwini, ed: Muhammad Abdul Moneim Khafaji, edition: Dar Al-Geel - Beirut, third edition.

14- Al-Bahr al-Muhit, Abu Hayyan al-Andalusi, edited by: Siddqi Muhammad Jamil and others, edition: Dar al-Fikr - Beirut, 1420 AH.

15- Al-Bidayah wa al-Nihayah, Ibn Kathir, edition: Al-Sa'ada Press - Cairo, and its version: Dar al-Fikr -

Beirut.

16- Al-Balagha in the translations of the imams of grammar and language, Al-Fayrouzabadi, ed: Dar Saad al-Din, first edition 1421 AH.

17- Al-Bayan wa Al-Tabeen, Al-Jahiz, edition: Dar al-Maktaba al-Hilal, Beirut, 1423 AH.

18- History of Ibn Khaldun, edited by: A. Khalil Shehadeh, edition: Dar al-Fikr, Beirut, first edition, 1401 AH.

19- History of the grammatical scholars of the Basrahis, Kufians and others, Al-Tanoukhi Al-Ma'arri, edited by: Dr. Abdul Fattah Muhammad al-Hilu, edition: Hajar, Cairo, second edition, 1412 AH.

20- Al-Tubayyin on the doctrines of the Basrawi and Kufian grammarians, Abu al-Baqaa al-Akbari, edited by: Dr. Abdul Rahman bin Sulaiman Al-Othaymin, edition: Dar Al-Gharb Al-Islami - Beirut, first edition, 1406 AH.

21- Tahfat al-Ajaweed in the Art of Tajweed by Sheikh Hassan Abdul Aal al-Sharif, fourth edition.

22- Al-Tasreeh of the content of the clarification, Khalid Al-Azhari, edited by: Khalid Al-Azhari, edition: Dar al-Kutub al-Alamiya, Beirut, first edition 1421 AH.

23- Tafsir al-Razi = Mufeefat al-Ghayb, edition: Dar Ihya

al-Therath - Beirut, third edition - 1420 AH.

24- Tamhid al-Qawa'id bi Sharh Tasheel al-Fawad, Nazir al-Jaishi, edited by: Ali Muhammad Fakher and others, edition: Dar Al-Salam - Cairo, first edition, 1428 AH.

25- Al-Tamheed in the Science of Tajweed, Ibn al-Jazari, edited by: Dr. Ali Hussein Al-Bawab, edition: Al-Ma'arif Library, Riyadh, first edition, 1405 AH.

26- Tahdhib al-Lugha, al-Azhari, edited by: Muhammad Awad Mar'ab, edition: Dar Ihya al-Therath - Beirut, first edition.

27- Tawdih al-Maqasid wa al-Maslak bi Sharh Alfiya of Ibn Malik, Al-Maradi, edited by: Abdul Rahman Ali, edition: Dar al-Fikr al-Arabi, first edition 1428 AH.

28- Al-Taysir in the Seven Readings, Abu Amr al-Dani, edited by: Otto Trezel, edition: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1404 AH.

29- Jama al-Bayan in the seven readings, Abu Amr, edition: University of Sharjah - UAE, First edition, 1428 AH.

30- Jamhura al-Lughla, Ibn Duraid, ed: Ramzi Munir, edition: Dar al-Alam al-Malayin - Beirut, first edition, 1987 AD.

31- Hujjat al-Qur'aat, Abu Zara'ah Ibn Zangla, edition:

Hawasheh: Said al-Afghani, edition: Dar al-Risala.

32- Al- Hujjat in the seven readings, Ibn Khalweh, edited by: Dr. Abdel-Al Salem Makram, edition: Dar Al-Shorouk - Beirut, fourth edition, 1401 AH.

33- Al-Hijjah for the seven readers, Abu Ali al-Farisi, edited by: Badr al-Din Kahwaji, and others, edition: Dar Al-Ma'mun for Heritage - Beirut, second edition, 1413 AH.

34- Al-Haywan, Al-Jahiz, edition: Dar al-Kutub al-Alamiya - Beirut, second edition, 1424 AH.

35- Khazanah al-Adab and Lub Lubab lisan al-Arab, Abdul Qadir al-Baghdadi, edited by: Abdul Salam Muhammad Haroun, edition: Al-Khanji Library, fourth edition, 1418 AH.

36- Characteristics of structure, an analytical study of semantics issues, Dr. Muhammad Muhammad Abu Musa, edition: Wahba Library, fourth edition, 1416 AH.

37- Characteristics, Ibn Jinni al-Musli, edition: Egyptian General Book Authority, fourth edition.

38- Al-Dar al-Masoon in the Sciences of the Maknoon Book, Al-Sameen al-Halabi, edited by: Dr. Ahmad al-Kharrat, edition: Dar al-Qalam, Damascus.

39- Dalilat al-Ijaz fi ilm al-ma'ani, Abd al-Qaher al-

Jarjani, ed: Mahmoud Muhammad Shaker Abu Fahr, edition: Al-Madani Press in Cairo - Dar Al-Madani in Jeddah, third edition, 1413 AH.

40- Diwan of Abu Ishaq al-Ilbiri, Abu Ishaq al-Tujibi al-Ilbiri, edited by: Dr. Muhammad Radwan al-Daya, edition: Dar Qutaiba - Damascus, second edition, 1401 AH.

41- Diwan of Dhi al-Rumma: edited by: Abdul Quddus, edition: Al-Iman Foundation - Jeddah, first edition, 1982 AD.

42 - Diwan of Urwa bin Athina, compiled by Dr. Yahya Al-Jabouri, Dar Al-Qalam, Kuwait.

43- Diwan of Omar ibn Abi Rabia, edited by: Muhammad Muhyiddin, edition: Al-Sa'ada, first edition, 1371 AH.

44- Diwan of Lubaid ibn Rabi'a, ed: Hamdo Tamas, edition: Dar al-Maarifa, First edition, 1425 AH.

45- Diwan al-Mutanabbi, edition: Dar Beirut for Printing and Publishing, Beirut, 1403 AH.

46- Ruh al-Ma'ani, al-Alusi, edited by: Ali Abdul Bari Attia, edition: Dar al-Kutub al-Alamiya - Beirut, first edition, 1415 AH.

47- Al-Zahir in the meanings of people's words, Abu Bakr al-Anbari, edited by: Dr. Hatim Saleh Al-Dhameen,

Al-Risala Foundation - Beirut, first edition, 1412 AH.

48- The Seven in the Readings, Ibn Mujahid, ed: Shawqi Daif, Dar al-Maarif - second edition, 1400 AH.

49- Sir Sana;t al-I'rab, Ibn Jinni, Dar al-Kutub al-Alamiya, Beirut - first edition 1421 AH.

50- Siraj al-Qari'ah al-Mubtadi and Tahkar al-Muqrir al-Muntahi, (Sharh Haraz al-Amani and Wajh al-Tahani by al-Shatbi), Ibn al-Qasih al-Athari, edited by: Mustafa al-Babi al-Halabi Press, third edition, 1373 AH.

51- Sunan Abu Dawud, edited by: Muhammad Muhyiddin Abdul Hamid, Al-Maktaba Al-Asiriya, Beirut.

52- Sunan al-Nisa'i, edited by: Hassan Shalabi, Al-Risala Foundation, Beirut, 1421 AH.

53- Al-Sunn al-Kubra, al-Bayhaqi, edited by: Muhammad Abdul Qader Atta, Dar al-Kutub al-Alamiya, Beirut, third edition, 1424 AH.

54- Sibweh and the invocation with hadith, Dr. Saadoun Ahmed Ali Al-Rubaie, research in the Journal of the College of Education for Human Sciences.

55- Al-Shafiya in the Science of Tasrif, Ibn al-Hajab, edited by: Hassan Ahmed Al-Othman, Makkah Library - Makkah, first edition, 1415 AH.

56- Shaza Al-Arf in the art of morphology, Ahmad Al-Hamlawi, edited by: Nasrallah Abdul Rahman, edition: Al-Rushd Library - Riyadh.

57- Sharh Ibn Aqeel on the Alfiya of Ibn Malik, edited by: Muhammad Muhyiddin Abdul Hamid, edition: Dar Al-Therath - Cairo, the twentieth, 1400 AH.

58- Sharh Sibuyeh's verses, Al-Sirafi, edited by: Dr. Muhammad Ali al-Rih Hashim, Al-Azharia Colleges Library, Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, Cairo - Egypt, 1394 AH.

59- Ashmouni's commentary on the Alfiya of Ibn Malik, Dar al-Kutub al-Alamiya, Beirut, 1419 AH.

60- Sharh al-Tasheel, Ibn Malik, edited by: Abdul Rahman al-Sayyid and others, edition: Dar Hajar, T1, 1410 AH.

61- Sharh al-Shawahid al-Shi'rayah fi Ummat al-Kitab al-Nahawiya “For Four Thousand Poetic Shahid”, Muhammad bin Muhammad Hassan Shurab, Al-Risala Foundation, Beirut, 1427 AH.

62- Sharh al-Kafiya al-Shafiya, Ibn Malik al-Ta'i al-Jayyani, edition: Abdul Moneim Ahmed Haridi, Umm Al-Qura University, Scientific Research Center: Umm Al-Qura University, Scientific Research Center, Makkah, first edition.

63- Sharh al-Mufassal, Ibn Yaish, Dar al-Kutub al-Alamiya - Beirut, first edition, 1422 AH.

64- Sharh Tasrif al-Mazini, Umar ibn Thabit al-Athini, Dr. Ibrahim bin Sulaiman Al-Buaimi, Al-Rushd Library - Riyadh, first edition, 1419 AH.

65- Sharh Shafiya Ibn al-Hajab, Rukn al-Din, edited by: Dr. Abdul Maqsood Muhammad, edition: The Library of Religious Culture, first edition 1425 AH.

66- Sharh Shafiya Ibn al-Hajjab, al-Radi, edition: Muhammad Nur al-Hassan and others, edition: Dar al-Kutub al-Alamiya, Beirut - 1395 AH.

67- Sharh Shathur al-Dhahab, Ibn Hisham, edited by: Abdul Ghani al-Daqr, edition: United Company - Syria.

68- Sharh al-Kitab li Sibuyeh, Al-Serafi (d. 368 AH), edited by: Ahmed Hassan Mahdali and Ali Sayed Ali, Dar al-Kutub al-Alamiya - Beirut, 1st edition, 2008.

69- Sahih al-Bukhari, edited by: Muhammad Zuhair al-Nasir, ed: Dar Tawq al-Najah, 1st edition, 1422 AH.

70- Sahih Muslim, edited by: Muhammad Fouad Abdul Baqi, Issa al-Babi al-Halabi & Co. 1374 AH.

71- Daraa'r al-Sha'ar, Ibn Asfour, edited by: Mr. Ibrahim Mohammed, Dar Al-Andalus, first edition.

72- Tabaqat of Grammarians and Linguists, Al-Zubaidi,

edited by: Muhammad Abul Fadl Ibrahim, edition: Dar al-Maarif.

73- Prosody, Ibn Jinni, edited by: Dr. Ahmed Fawzi Al-Haib, edition: Dar Al-Qalam - first edition, 1407 AH.

74- Al-Aqd al-Farid, Ibn Abd Rabbo, edition: Dar al-Kutub al-Alamiya - Beirut, first edition, 1404 AH.

75- Semantics, Dr. Ahmed Mukhtar Omar, edition: World of Books, fifth edition, 1998 AD.

76- The Science of Prosody and Rhyme, Abdul Aziz Atiq, edition: Dar Al-Afaq Al-Arabiya, first edition, 1427 AH.

77- The science of the Arabic language, Dr. Mahmoud Fahmi Hegazy, edition: Dar Gharib for Printing, Publishing and Distribution.

78- Al-Ain, Al-Khalil ibn Ahmad Al-Farahidi, edited by: Dr. Mahdi Al-Makhzoumi and others, edition: Dar Al-Hilal.

79- Ghaith al-Nafa in the seven readings, Ali bin Muhammad al-Nuri al-Safaqsi, edition: Dar al-Kutub al-Alamiya - Beirut, edited by: Ahmed Mahmoud Al-Shafi'i, First edition, 1425 AH.

80- Fath al-Qadir, al-Shawkani, edition: Dar al-Kalam al-Tayyib - Damascus, Beirut, first edition - 1414 AH.

81- Al-Kitab, Sibuyeh, edited by: Abdul Salam Haroun,

edition: Al-Khanji Library, Cairo, third edition, 1408 AH.

82- Kanasha al-Nawadir, Abd al-Salam Muhammad Haroun, edition: Al-Khanji Library, first edition, 1405 AH.

83- Lisan al-Arab, Ibn Mansour, edited by: Liazji and others, edition: Dar Sadr, third edition, 1414 AH.

84- Al-Lama' fi al-Arabiya, Ibn Jinni, edited by: Fayez Fares, edition: Dar al-Kutub al-Kultura - Kuwait.

85- Matn al-Shatibiya = Haraz al-Amani and Wajh al-Tahani in the seven readings, Al-Qasim ibn Firah al-Shatibi, edited by: Muhammad Tamim al-Zu'bi, edition: Dar Al-Huda Library, fourth edition, 1426 AH.

86- Al-Mathal al-Sa'ir in the literature of the writer and the poet, Ibn al-Athir, edited by: Muhammad Muhyiddin Abdul Hamid, edition: The Modern Library for Printing and Publishing - Beirut, 1420 AH.

87- Al-Muhtasib in explaining and clarifying the anomalies of the readings, Ibn Jinni, edition. The Supreme Council for Islamic Affairs, Egypt, edited by: Ali al-Najdi Nassef, and others, 1389 AH.

88- Al-Muharir al-Wujiz, Ibn Attiyah, edited by: Abdul Salam Abdul Shafi Muhammad, edition: Dar al-Kutub

al-Alamiya, Beirut, 1422 AH.

89- Al-Muhkam wa al-Muhit al-A'zam, Ibn Sayyidah al-Mursi, edited by: Abdul Hamid Hindawi, edition: Dar al-Kutub al-Ilmamiya - Beirut, first edition, 1421 AH.

90- Maratib al-Nahwiyin, Abu al-Tayyib al-Lughawi, edited by: Muhammad Abul Fadl Ibrahim, Al-Maktaba Al-Asiriya, Saida-Beirut, 1430 AH.

91- Al-Masa'il al-Askariyat in Arabic grammar, Abu Ali al-Nahawi, edited by: Dr. Ali Jaber, edition: International Scientific House, Jordan, 2002.

92- The semantic level in Sibuya's book, Dr. Mai Fadel Jassim Al-Jubouri, Associate Professor - Department of Language, Grammar and Morphology, College of Arabic Language - Umm Al-Qura University - Makkah Al-Mukarramah.

93- Musnad Abu Dawud Al-Tayyalisi, edited by: Dr. Muhammad bin Abdul Muhsin al-Turki, edition: Dar Hajar - Egypt, first edition, 1419 AH.

94- Musnad Ahmad, Ahmad ibn Hanbal, edition: Publisher: Al-Risala Foundation, First edition, 1421 AH.

95- Al-Musbah al-Munir fi Gharib al-Sharh al-Kabir, al-Fayoumi, edition: The Scientific Library - Beirut.

96- The Meanings of the Readings, by Al-Azhari, edition:

Research Center - King Saud University, first edition, 1412 AH.

97- The meanings of the Qur'an and its Parsings, al-Zajjar, edited by: Abdul Jalil Abdo Shalabi, World of Books - Beirut, first edition 1408 AH.

98- Meanings of the Qur'an, Al-Farra, edited by: Ahmed Yusuf al-Najati, and others, edition: Dar Al-Masriya - Egypt, first edition.

99- Maajam al-Adaba = Irshad al-Arib to the knowledge of al-Adib, Yaqut al-Hamawi, edited by: Ihsan Abbas, edition: Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 1414 AH.

100- Al-Mu'jam al-Awsat, Al-Tabrani, edited by: Tariq bin Awadallah, edition: Dar al-Haramayn - Cairo.

101- The Great Lexicon, Al-Tabarani, edited by: Hamdi bin Abdul Majid al-Salafi, edition: Ibn Taymiyyah Library - Cairo, second edition.

102- Dictionary of the Contemporary Arabic Language, Dr. Ahmed Mukhtar, edition: World of Books, first edition, 1429 AH.

103- Magni al-Labib on the books of al-A'rib, Ibn Hisham, edited by: Dr. Mazen Al-Mubarak, Muhammad Ali Hamdallah, edition: Dar Al-Fikr - Damascus, sixth edition, 1985 AD.

104- Al-Mufradat fi Gharib al-Quran, Al-Raghib al-Isfahani, edited by: Safwan Adnan Daoudi, ed edition: Dar al-Qalam, Dar al-Shamiya, Damascus, Beirut, 1412 AH.

105- Al-Muqtafa in Waqf and Ibtihad, Abu Amr al-Dani, edited by: Muhyiddin Abdul Rahman Ramadan, edition: Dar Ammar, first edition 1422 AH.

106- Al-Mumtea' al-Kabir in Tasrif, Ibn Asfour, edition: Publisher: Library of Lebanon, first edition.

107- Al-Mansaf, by Ibn Jinni, edition: Dar Ihya al-Herith al-Qadim, first edition 1373 AH.

108- The system of the introduction to what the reader of the Qur'an must know, by Ibn al-Jazari, edited by Dr. Ayman Rushdi Suwaid, edition: Dar Noor Al-Maktabat for Publishing and Distribution in Jeddah, fourth edition, 1427 AH.

109- Al-Mawaafiqat, Ibrahim ibn Musa al-Gharnati, known as al-Shattabi, edited by: Abu Ubaidah Mashhour bin Hassan al-Salman, edition: Dar Ibn Affan, first edition, 1417 AH.

110- Nuzhat al-Alba'a fi Tabaqat al-Udba', Abu al-Barakat al-Anbari, edited by: Ibrahim al-Samarrai, edition: Al-Manar Library, Zarqa, Jordan, third edition,

1405 AH.

111- Al-Nashr in the Ten Readings, Ibn al-Jazari, edited by: Ali Muhammad al-Dabaa, edition: The Great Commercial Press.

112- Huma al-Hawa'a in the commentary of Jama'a al-Jawa'a, Al-Suyuti, edited by: Abdul Hamid Hindawi, edition: Tawfiqiya Library - Egypt.

113- Wafiyat al-Ayyan wa Anba'a Abna' al-Zaman, Ibn Khalkan al-Irbali, edited by: Ihsan Abbas, edition: Dar Sadr - Beirut.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	١٧٠٥
تمهيد: مفهوم (الفكر الموسوعي)، ونبذة مختصرة عن سيبويهِ وكتابه	١٧١٠
أولًا: مفهوم الفكر الموسوعي:	١٧١٠
ثانيًا: نبذة مختصرة عن حياة سيبويه وكتابه:	١٧١١
منزلة الكتاب في تدبر العلوم وتحصيلها:	١٧١٤
الفصل الأول: معرفة سيبويه بعلوم العربية وأثره في نشأتها	١٧١٧
المبحث الأول- سيبويهِ رائد التصنيف في علميِ (النحو والتصريف)	١٧١٩
المبحث الثاني- أثر فكر سيبويه في نشأة علوم البلاغة	١٧٣٤
المبحث الثالث- إرهاصات علم الدلالة بمفهومه الحديث في كتاب سيبويه	١٧٤١
المبحث الرابع- أثر فكر سيبويه في دراسة اللهجات والأصوات	١٧٤٦
المبحث الخامس- معرفة سيبويه بعلم العروض والقوافي	١٧٥٣
الفصل الثاني- معرفة سيبويه بعلوم القرآن الكريم وأثره في نشأتها	١٧٦١
المبحث الأول- التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية في كتاب سيبويه	١٧٦٢
المبحث الثاني- مباحث أحكام التجويد عند سيبويه، وأثره في نشأته	١٧٦٦

الموضوع	الصفحة
المبحث الثالث– معرفة سيبويه بالوقف والابتداء أنواعه وكيفيته	١٧٧٤
المطلب الأول– أثر تغاير الإعراب في حكم الوقف في القرآن الكريم:	١٧٧٥
المطلب الثاني– كيفية الوقف على أواخر الكلم	١٧٧٨
تتمَّة: معرفة سيبويه بالحديث النبوي الشريف	١٧٨٦
الخاتمة	١٧٩٣
فهرس المراجع	١٧٩٥
فهرس الموضوعات	١٨٢١